بسم الله الرحمن الرحيم

الخونة

أخس صفقة في تأريخ الحركة الإسلامية المعاصرة

تأليف

أبو بكر ناجي

نشر؛ مركز الدراسات

تنظيم القاعدة / جزيرة العرب

قال الله تعالى: {وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ}.

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ}.

تمهيد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فقد طلب مني الإخوة الأحبة في موقع مركز الدراسات والبحوث الإسلامية نشر هذا البحث، وقد قاموا مشكورين بضبطه وتنسيقه.

وقد نبهوني كذلك –جزاهم الله خيراً –إلى تصريح نشرته صحيفة الحياة –وذلك بعد نشر البحث على الشبكة –على لسان رئيس لجنة مجلس الأمن لمراقبة ومطاردة تنظيم "القاعدة" جاء فيه ما يؤكد ما ذكرته في البحث، فرأيت إضافته كذلك.

وأود التنبيه إلى أني استفدت كثيراً في تعديل وإضافة بعض الفقرات الخاصة بالجزيرة في هذا البحث من بعض أهلها الثقات بما يجلّي الصورة أكثر للقراء، وبما يوضّح لهم طبيعة الأوضاع في الجزيرة، خاصةً أنّهم أقرب مني وأثبت في معرفة تفاصيل وخفايا الأحداث، فجزاهم الله على ذلك خير الجزاء.

أسأل الله لهم أن يوفقهم لما يحب ويرضى.

والحمد لله رب العالمين

أبو بكر ناجي

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

الخيانة ظاهرة كونية موجودة في كل التجمعات البشرية، حتى الفئة المؤمنة المجاهدة على مر العصور وُجِدَ بها دائماً فريقٌ من الخونة يضمحل أثرهم كلما كانت هذه الفئة على بينةٍ من أمرها، متيقظة متوكلة على ربها آخذة بالأسباب المشروعة لمواجهة هؤلاء الخونة فهم من أقدار ولوازم الطريق إلى الله.

ومنذ أن اتسع الأمر واجتمع لهذه الفئة أمةٌ تحوطها وتتبادل معها الولاء والنصرة، أخذت تظهر تجمعات كبيرة للخونة، تتمثل تارةً في بعض تجمّعات الروافض أو بعض تجمعات العقلانيين من الزنادقة وغيرهم، فهذه التجمعات المنتمية للأمة قد تَجْمَع – مع خروجها عن المنهج الصحيح وإجماع الأمة – الخيانةَ وقد لا تجمع، وكما أنه يجب مواجهة المجموعات الصغيرة وأفراد الخونة داخل الفئة المجاهدة بما يناسب الوضع والحال، فيجب كذلك مواجهة التجمعات الكبيرة داخل إطار الأمة، فإن خطرها لا يقل عن خطر الأفراد داخل الفئة المؤمنة، لا سيما إذا كانت تجمعات الخونة محسوبةً هذه المرة على رافدٍ نظيفِ الفكرِ في الأمة وهو الرافد السني، بل الحركة الإسلامية داخل الجانب السني من الأمة، فالخطر هنا متضاعف.

وقد كنت منذ فترة أُحَضّرُ لطرح بعض المواضيع المختلفة وقد خططتُ لطرحها في نهاية هذا العام –الهجري –إن شاء الله إذا كان في العمر بقية، ومن أسباب تأخير طرحها كوني:

أولاً: أريد إنزالها كلها في فترة متقاربة لارتباط بعض أجزاء هذه المواضيع ببعض.

ثانياً: كذلك لأني أريد إنزالها في توقيت ظرفي مناسب فتحقق أهدافها.

والقصد: أن أحد هذه المواضيع أتتبع مادته منذ فترة حتى يكتمل بناؤه وهو بعنوان: "اعترافات مشايخ ومنظري الصحوة"، وقد جمعت فيه اعترافاتٍ خطَّها مشايخُ ومنظري الاتجاه الذي يطلق عليه في الوسط الإسلامي: "الصحوة أو السلفية الإصلاحية" على حد تعبير ونص عبارة منظري هذا الاتجاه، وقد ركّزتُ الموضوعَ على كتابات مشايخ ومنظري هذا

الاتجاه في الجزيرةِ ومصرَ والأردن وامتدادهم في أوربا وأمريكا، ومصدر هذه الاعترافات كان كتابات رموز الصف الأول وبعض كتاب الصف الثاني، تلك الكتابات المتناثرة هنا وهناك على الشبكة، خاصة في موقعي "الإسلام اليوم" و "العصر".

موضوع "الاعترافات" لم يكن أهم موضوعٍ في المواضيع التي أُعِدّها، وهو في مجمله لم يكن يحتاج إلى التعجيل بإنزاله فقد كان يمثّلُ بالنسبة لي كونه فقط إضافةً هامةً لجهود كثيرٍ من الأحبة تتبعُ بالنصحِ والنقدِ هذا التيارَ، هذه الإضافة تتمثل في تسجيل اعترافاتهم الصريحة خاصة في الفترة الأخيرة والتعليق عليها، وقد كانت هذه الاعترافات لا تخرج عن ثلاثة أطياف:

– **الطيف الأول:** إما اعترافٌ منهم بأنهم يطرحون أنفسهم على الساحة كونهم بديلاً للتيار السلفي الجهادي الشامل، وفي هذا الاعتراف صفعةٌ للأتباع والمقلدين الذين يرددون أنهم تيار مُكَمّلٌ لمسيرة الحركة الإسلامية –زعموا –

– **والطيف الثاني من الاعترافات:** فلتاتُ لسانٍ أو اعترافاتٌ شجاعة –أو سمّها ما شئت –بحقيقة الأزمة التي يعاني منها هذا التيار، بل وصَاحِبُ هذا الاعتراف يُشَخّصُ بدقةٍ للمرضِ الذي يسري في جسدِ ودماءِ وعقلِ هذا التيار.

– **الطيف الثالث من الاعترافات:** هو عبارةٌ عن اعترافاتٍ خطيرةٍ من البعض بإرهاصاتِ تنسيقٍ مع الأجهزة الأمنية في أنظمة الردة لمواجهة التيار السلفي الجهادي، ومن هذه الإرهاصات تقديمُ نصحٍ صريحٍ يشملُ نصائحَ للأجهزة الأمنية تدخل في نطاق الكفر، وهذا الطيف الأخير الخطيرُ لم يكن لكاتبٍ واحدٍ أو مجهولٍ في الموقعين المشار إليهما – الإسلام اليوم والعصر – بل لرمزٍ كبير في هذا الاتجاه، مع مقالاتٍ لكتاب مغمورينَ في الموقعين، ولا يقول قائل: إن بعض الكتابات لا تمثل الموقع بالضرورة، فعلى فرض هذا فهي تمثل التيار كما صرّحت تلك المقالات.

عَودةً لما سبق:

قلتُ: إني لم أتعجل إنزال موضوع "الاعترافات" فأكثر متابعي الشبكة على علمٍ بالفكرة العامة التي تحويه، وهو من أكثر القضايا مناقشةً في مواقع الشبكة الإسلامية في الفترة الأخيرة، وإن خفي عن البعض بعض تفاصيله، فذلك لم يكن لدي دافعٌ للتعجيل بإنزال الموضوع فضلاً عن أنني كنت ومازلت أجمع مادته – ولعله يصدر ككتيب – ولكن تتابعت أمور خطيرة أثناء متابعتي للجديد في موقع "الإسلام اليوم" وموقع "العصر" واجتمعت لدي

بعض الأخبار الموثقة دفعتني لكتابة هذا الموضوع الذي بين أيديكم الآن – وهو موضوع مختلف عن موضوع الاعترافات إلا إنه ثمرة من ثمراته –

هذه الأمور الخطيرة خرجت عن نطاق الجزيرة والأردن ومصر وخرجت عن نطاق التيار المشار إليه "الصحوة" ليدخل فيها تيارات إسلامية أخرى الرابط الجامع بينها أنها تيارات لها منهج وخطط تختلف مع منهج وخطط اتجاه "السلفية الجهادية".

وتيار السلفية الجهادية وإن كان يُصَرّحُ بأنه يتبنى منهجاً شاملاً متكاملاً، إلا أنه كذلك يُصرّحُ بأن الساحة تحتاج لكل الجهود لنصرة هذا الدين، وأنه بإمكانياته المحدودة لم يملأْ كلَّ الفراغات وينادي ويكرِّر على باقي التيارات –إن لم تنتظم في المنهج الشرعي الشامل الذي يراه –: أن تملأ بعض الفراغات وتسد بعض العجز، إلا إنه للأسف، هذه التيارات تأخذ الأمر على أنه تنافس، وعلى أسوأ الظروف لو استجزنا أن تكون العلاقة بين هذه التيارات وهذا التيار –الذي ترميه كل قوى الأرض عن قوس واحدة –

أقول: لو استجزنا أن تكون العلاقة علاقة تنافس فلتكن هذه المنافسة شريفة، إلا أن الأحداث التي تتابعت في الأيام الأخيرة تثبت للشباب البريء المخدوع في بعض قيادات هذه التيارات أن هذه القيادات –بقصدٍ أو بدون قصدٍ –تقوده لطريق الذل والخزي والعار الذي ما بعده عار، دون مراعاةٍ لدينٍ أو أخوةٍ أو أية مبادئ، ولا حتى عقل وإدراك.

والأمر جد خطير وهو "الخيانة" وفصولها كالتالي...

الفصل الأول
خطة الخيانة

الكل يعلم الرعب والقلق الأمريكي من دخول أعداد كبيرة من الشباب في أعمالٍ جهادية سواءً من جانب الانبهار بأعمال تنظيم القاعدة، والانبهار بصمود قادته وأفراده أمام ما يواجهون من بلاء، أو كردّ فعل للأعمال التي تقوم بها أمريكا وإسرائيل في المنطقة، هكذا تُصرّح كل يوم دوائر صنع القرار في الإدارة الأمريكية من مراكز دراسات استراتيجية ومستشاري البيت الأبيض والكتاب الصحفيين الذين لهم وزن في مسودة هذه الإدارة، خاصة إذا علمنا أنهم يصرّحون أن عملية انخراط هذه الأعداد الكبيرة من الشباب تمتد في رقعةٍ من الأرض من المحيط إلى الخليج، ومن نيجيريا إلى اندونيسيا، وهم لم يسدّوا بعدُ ثغرةَ العراق وأفغانستان فكيف إذا فُتِحَتْ عليهم جبهاتٌ في دول أخرى؟ أو على الأقل هُدّدت مصالحهم المنتشرة في مئات المدن داخل هذه البلدان.

والحل المنطقي هنا هو تجديد العقود والأوامر لأنظمة الردة في هذه البلدان المسماة بالإسلامية لمواجهة هذا الوضع الجديد، نعم هذه الأنظمة لم تتوقف عن قمع الحركات الإسلامية والمكر بها من يومِ أن اجتاحت العالم الإسلامي بعد منتصف القرن الماضي، إلا أن الوضع الجديد الخطير يجبرهم على تبديل بعض التحركات.

وبالفعل بدأت اجتماعات التنسيق الأمني الدورية تناقش الوضع الجديد، وتضع استراتيجية المواجهة طبقا لآخر التطورات التي ذكرتها.

إلا أن دوائر شياطين المخابرات والمباحث في أنظمة الردة طرحت في تقاريرها التي تناقشها مع مثيلاتها في الإدارة الأمريكية ما يلي:

(... 1) إن أي مواجهة تقوم بين هذه الحكومات وبين عناصر إرهابية ستفسر من جهة الشعوب أنها لصالح أمريكا وإسرائيل.

2) النسبة من الشباب التي تنضم كل عام إلى جماعات الظلام – الجماعات الإسلامية – كما تشير الإحصاءات والتقارير الأمنية: تزايدت بمعدلات خرجت عن حيز الضبط الذي كنا نمارسه من خلال الإعلام المبهر والقمع والتضييق والمحاصرة بالمغريات وإثارة القضايا الهامشية التي تَصرِفُ هذه الجموع عن وجهتها، وذلك كان يجعل هذه النسبة دائماً تحت السيطرة ويجعل هذه الجماعات تدور في حلقة مفرغة، والمرعب في هذه النقطة أن هذه

الأعداد المتزايدة بدلا من أن تتوزع – كما كان يحدث في السابق – على كل جماعات الظلام أصبح يتجه أغلبها إلى جماعات التشدد في المعتقد والعنف في الحركة بسبب حالة الغليان التي تسود في الشارع العربي و الإسلامي... تقاريرنا الأمنية تقول ذلك...كذلك إن ما تطرحه الجماعات الأخرى التي لا تمارس العنف أصبح يُقَابَلُ بالتندر والسخرية من الشباب الجدد والقدامى، وهذه النقطة وان لم يظهر أثرها الخطير علينا حتى الآن إلا أن دوران عجلتها وحضورها في الواقع أصبح يمثل هاجساً مرعباً لنا من تصور ما سيكون عليه الوضع عند انفجار هذه العناصر في الواقع، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أنه إذا كان هناك الكثير من الشباب المندفع للعنف يقوم بأعمال ارتجالية وأخطاء وذلك لأنه ينزل إلى الساحة فلا يجد من يتلقاه بالتجنيد والمتابعة.

فتقاريرنا تشير أنه على الجانب الآخر هناك العديد من الكوادر المتبقية من الحقبة السابقة والتي لم تصل إليها أذرع أجهزتنا – والتي ذابت وكانت في طور خمول بعد عمليات القمع الناجحة التي قمنا بها في العقد السابق –، هذه الكوادر بدأت تتعامل مع من تتلقاه من الشباب الجديد ولكنها هذه المرة تتجنب الأخطاء التي وقعت بها في الماضي، بل وتم تطوير الخطط والبرامج التي تُوضع للعناصر الجديدة وانتشرت بين أيدي هذه الكوادر في ظل الانفتاح في وسائل الاتصالات أبحاث من أخطر ما يكون نَقَلَتْ هذه المجموعات نَقْلَةً واسعةً ومرعبة، وقد تم ضبط عددٍ من تلك الكوادر بفضل يقظة أجهزتنا الأمنية وتمكننا من اختراق بعض الشبكات، لكنّ الاعترافات التي حصلنا عليها من بعض هذه العناصر زادت الأمر سواداً، حيث تبيّن أن التعليمات التي تلقوها من الخارج عن طريق عناصر قيادية طليقة أو من خلال تعليمات عامة منتشرة على شبكة الانترنت مضمونها الأمر باتباع سياسة النفس الطويل، والإمعان في تدريب العناصر الجديدة تدريباً عالياً، وإعداد تلك العناصر لعمليات ضخمة ودموية، وتم تبشيرهم أن من خلال هذه السياسة سيتم شحن الشعوب وبث دماء جديدة في جسد جماعات الإرهاب بمعدل متوالية هندسية... وأن القيام بالعمليات الآن غير محذور، واختيار الأهداف مفتوح ولكن طبقاً للسياسة العامة المعلنة من خلال قيادات الإرهاب الكبرى، ولكن تم التشديد عليهم أن يقوموا قبل القيام بعمليات إرهابية برفع مستوى التدريب والخبرات لكل العناصر الجديدة والإسراع في ذلك، ليكون الجميع في وضع استعداد[1].

3) سياسة التضييق على أموال الإغاثة لها تأثير عكسي، ومع احترامنا لقرارات إدارتكم — الأمريكية – فإن ذلك القرار أصبح يصب في مصلحة الجماعات الإرهابية، فقد

[1] – هذه النقطة طويلة وأعتقد أن بقيتها مفهوم.

أصبح من المعتاد الآن عند ضبط بعض العناصر الإرهابية أن يتم ضبط مبالغ متوسطة أحياناً وضخمة أحياناً أخرى، وتُسَجّل اعترافات بعضهم أنهم قاموا بجمعها من أقاربهم وجيرانهم تحت دعاوى تصريفها في مصارف الزكاة والصدقات المشروعة، وعندما يتم استدعاء الذين قاموا بدفع هذه الأموال وأحياناً ضبطهم فإنهم يبررون ذلك بأن مصارف المساجد ومؤسسات الإغاثة أصبحت مضيقاً عليها، فهي إما غير موجودة أو أن بها سجلاتٍ تكشفُ أسماء المتبرعين و الأموال التي تم التبرع بها، وأنهم يخشون من أن يُفَسَّرَ وجودُ أسمائهم في تلك السجلات على أنهم يدعمون الإرهاب، فإن قيل لهم أنها بالفعل كانت تذهب للإرهاب يبررون أنهم لم يكونوا يعلمون هوية مَنْ دفعوا له المال، غيرَ أنه شابٌ صالح وسيوصلها لمستحقيها، هذا ما جعل أموالاً ضخمة كانت في السابق تحت السيطرة نوعا ماً يذهبُ قدرٌ كبيرٌ منها إلى أشخاصٍ غير معروفين، فقد كنا نعرف بقدرٍ ما حجم تلك الأموال ونشدد على وجهتها ولكنا فقدنا السيطرة الآن، وهذه الأموال تخرج بحجم كبير من أفرادٍ لديهم عاطفة دينية وبسبب السمعة السيئة للمصارف الحكومية، حيث ينتشر بين كثير منهم أن مصارف تَلَقّي الزكاة الحكومية تخلط الأموال في معاملاتٍ غيرِ إسلامية وأن بعضها لا يذهب لمستحقيه أو يُنهب، لذلك يلجأ الأفراد للطرق غير الرسمية)[2].

بالطبع كانت هناك نقاطٌ أخرى نَقلَتْها أجهزةُ أنظمة الردة في تقاريرها إلا أن هذه هي أهم النقاط، وللذكر فإن هذه النقاط قد تم طرحها بين تلك الأجهزة بدون كل هذه التفاصيل قبل غزو العراق -تحديداً في بداية الهجمات على أفغانستان - لكنها بعد غزو العراق وسقوط بغداد أصبحت لا يمكن إنكار أثرها وذلك لانقلابه من أثر محدودٍ بدرجة ما إلى أثرٍ ممتدٍ بل اكتشفوا أن الأثر الممتد كان موجوداً ولكنه كان كامناً، فبماذا أمرت الإدارة الأمريكية بعد دراسة هذه التقارير وتحليلها؟

كان للإدارة الأمريكية تصورٌ معين سابق عن حالة مشابهة، وكان لديها بدائل للتعامل مع هذه الحالة المتشابهة فتم استدعاء أحد هذه البدائل وطرحه في اجتماعات التنسيق الأمني مع الأجهزة الأمنية في أنظمة الردة، وكان هذا البديل كالآتي:

لدينا أسلوب نعتقد أن بعضكم مارسه بحجمٍ محدودٍ من قَبْلُ بمشورتنا، وبعضكم مازال يمارسه على نحوٍ ضيق ولمصلحةٍ ضيقة لرفع الضغط عن هذا النظام أو ذاك إلا أننا نريد:

أولاً: تعميمَ هذا الأسلوب على أكبر عددٍ ممكنٍ من البلدان.

---

[2] – انتهى مضمون التقارير الاستخباراتية العربية المقدمة إلى مثيلاتها في الإدارة الأمريكية.

ثانياً: توجيهَه لمعالجة الضغوط التي نواجهها على نحو مباشر، فما نواجه ما نواجهه الآن إلا من تخبط سياستكم في معاملة هؤلاء، وما من مصلحةٍ تعودُ علينا إلا تعودُ عليكم بالضرورة وتفاصيل هذه الخطة: أنه قد تم اختيار عدد من البلدان لاعتبارات هامةٍ وحيوية وطُلِبَ من أنظمتها استعمال التيارات الإسلامية التي لا تمارس العنف والتي تعتبر أقل تشدداً من تيارات الإرهاب، ويتم ذلك بإعطائها مكاسب كمساحة من الحرية أو مساحة في الحكم كمقاعد برلمانية أو وزارات ومناصب وتقريبهم واستقطابهم بخدعٍ مختلفة للمساعدة على ضرب حركات الإرهاب، على أن تعمل هذه الخطوة على إيهام الجُموع المتدفقة من الشباب أن الأوضاع تتحسن والأنظمة تقترب من الأسلمة، وأنه لا داعي لممارسة العنف، وسيكون أقلُ أثرٍ لهذه الخطة هو بثَّ البلبلة في صفوف الشباب وعدم الثقة في جدوى و مشروعية العنف مما سيسبب إجهاضاً لأهم أهداف قيادات العنف، مع التشديد على أنه بعد عَقْدِ هذا الاتفاق مباشرةً و السماح لهم بهذه المكاسب سنبدأ المرحلة الثانية بمساومتهم على مكاسب جديدة، أو نهددهم بسحب المكاسب المعطاة لهم إذا لم يقوموا بتجريم هذه الجماعات وتسويغ استئصالها بين الشباب والشعوب)[3].

يا لهول هذه المرحلة!

هنا جاء سؤالان من أجهزة أنظمة الردة الأمنية:

1- هل نطرح هذا الأمر على جميع الجماعات التي لا تمارس الإرهاب في بلداننا أم بعضهم ممن نثق مئة في المائة أنهم لا نية لهم في ممارسة العنف؟

2 - قد تكون هناك صعوبة في عرض المرحلة الأخيرة من الاقتراح على بعض أو على كل الحركات لدينا لاعتبارات عديدة إلا أنها غير مستحيلة، فما هي اقتراحاتكم لحل هذه النقطة؟ مع العلم أن بعض أنظمتنا التي مارست هذا الأسلوب من قبل مارسته على نحو ضيق، ولم نجد صعوبة في تنفيذه خاصة أننا مسلمون! وهكذا تعتبرنا كثير من الجماعات المتطرفة! فكان لنا مدخل، أما أن نقوم بذلك لمصلحتكم فالأمر قد يكون به صعوبة خاصةً تلك الخطوة الأخيرة المشار إليها، فكيف نطلب من هذه الحركات أن تُجرّم من يحارب أمريكا وتدعو الناس لذلك؟).

فكانت إجابة الأجهزة الاستخباراتية في الإدارة الأمريكية ما يلي:

[3] – انتهى طرح الأجهزة الأمنية الأمريكية.

(هذا السؤال جيد وعملي، ولا شك أن الإجابة لدينا داخل ورقة العمل التي نناقش فيها الخطة الموضوعة في هذا الاجتماع فنحن لم نغفل عنها بل إنّ لنا تجربةً قريبة كنا قد بدأنا بها في أحد بلدانكم وتحديداً بعد غزو أفغانستان، وقد بدأ يظهر لها نتائجُ إيجابيةٌ تشجّع على التوسع، ونحن نعتبرها خبرةً معاصرةً للحدث تم اكتسابها، ومفتاحاً هاماً لذلك التوسع، والحل كالتالي: قوموا بطرحِ طعمٍ لهذه الجماعات بوسائل اتصالات مختلفة بحسب طبيعة وضع كل بلد، ونحن من جانبنا لنا قنوات اتصال وحوار مع بعض مهاجري هذه الجماعات في الغرب، فسنعمل على تسريب هذه المكاسب والعروض المتوفرة من خلال هذه القنوات، طبعاً لن نكون على الطرف الآخر مباشرة في هذه التسريبات، لوجود حساسية قد تكون موجودةً من كل ما هو أمريكي، ولكن من خلال أجهزةٍ أمنيةٍ لدولٍ غربيةٍ معنا في نفس قناة الاتصال ولكن غير مُشْتَرِكَةٍ بصورةٍ مباشرةٍ في الحرب على الإرهاب.

ثم بعد ذلك يتم انتظار من سيستجيب للطعم، ويكون لكم حرية اختيار الجماعات التي تستجيب في كل بلدٍ طبقاً للأهداف المرصودة، فمن الممكن أن يتم الاتفاق مع كل المستجيبين –وهو المقترح لحشد أكبر عدد منهم – أو انتقاء بعض أو أحد تلك الحركات، ولكن سيتم مراجعة هذه الاختيارات معنا أثناء التنفيذ، كما أننا لنا صلاحيةَ رفضِ تيارٍ معين بعد أن تقبلوه طبقاً لاعتبارات معينة.

بالنسبة للسؤال الثاني: بدايةً نريد أن نوضح أنه طبقاً لدراساتٍ نفسيةٍ وتاريخية من عمق التاريخ وحتى الآن وتطبيقها على الأوضاع الحالية فإننا لن نعجب من الاستجابة السريعة لعددٍ من الحركات بقبول هذه العروض، وطبقاً لنفس الدراسات ونفس النظرية فإن أمر الوصول إلى مرحلة الاستجابة للجزء الأخير من الاتفاق – الذي يعتبر مرحلة جيدة جداً لنا ولكم – سيكون مسألة وقت، فهم سيبدأون بقبول العروض و بعضهم أصلاً متوجسٌ من هذا الطلب، ولكن لأنه غير مُصرّحٍ به في البداية – أي حقيقة الطلب – فسيطمئنون أنفسهم أنها مجرد مكاسب بدون ثمن كبير فرضتها الضغوط التي تواجه الأنظمة، ثم لا يلبثون أن ينزلقوا في اللعبة ولن يستطيعوا رفض هذا الطلب في النهاية... وأهم ما ننصح به في هذه المرحلة – ونعتقد أنكم تعلمونه جيداً – أنه بالإضافة لضغط الواقع من حولهم ومغريات المكاسب السياسية المعروضة عليهم فلا يجب أن تُغْفِلُوا مفعولَ العروضِ المالية، فإن لها مفعولاً ساحراً، ولكن لا تَعرِضوا أموالاً إلا في الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب، هذه هي السياسة كما تعرفون).

سادَ شعورٌ بالارتياح في جانب الأجهزة الأمنية لأنظمة الردة لهذه الخطة المطمئنة التي ستلطّف الأجواء في بلدانهم التي تواجه حالةً من الاحتقان الشديد أثمَرَ شعوراً قوياً بعدم

الأمان لم تصل إليه الأوضاع من قبل منذ بداية حكم الأنظمة العلمانية، حتى إن أغلبهم ما كان ليقبل هذه الخطة من قبل أبداً، وما كان ليعطي تنازلاتٍ لأي حركةٍ إسلامية، إلا أن بعضهم لجأ لشبيهٍ لتلك الخطة من قبل لكن بحجم محدود، "فردة حذاء صغيرة فقط لاستخدام مؤقت!".

المهم في هذا الاجتماع عند الوصول لحالة الاطمئنان بعد التوتر الذي كان قبل الاجتماع، حتى أن بعض الوفود ظن أنه ستعطى الأوامر من قِبَلِ الأمريكان بعد ما دار في الاجتماع السابق بحل الأنظمة في بعض البلدان طوعاً أو كرهاً أو على الأقل حل الأجهزة الأمنية الفاشلة، المهم بعد الشعور بالارتياح بدأت الأفكار الخبيثة تتراقص داخل العقول، فماذا حدث؟

طلبَ أخبثُ عضوٍ في الأجهزة الأمنية العربية الكلمة، وانطلق قائلاً: أقترح أن نبدأ بعد فترةٍ في تسريب بعض الاتفاقات التي أبرمناها مع هذه الحركات في وسائل الإعلام بطريقة متدرجة ثم بعد ذلك نقوم بـ (...)!

الكلب الأمريكي كان أخبثَ منه –ولعله كان إنجليزياً فقد كان هناك أعضاءٌ من جهاز الاستخبارات الإنجليزي مختلطين داخل الوفد الأمريكي دون تمييز أو شارات – بالطبع – فهذا ليس من شأن الأجهزة العربية، المهم أن الكلب الخبيث أسكت العضو العربي وطلب منه عدم استكمال الكلام، وقال له بخبث: نحن نفهم ما تريد قوله ولكنا أجهزة محترمة لا نقوم بهذه الأساليب، ودع الأمور تسير وسنحدد لكم الخطوة التالية عندها!

وانفض الاجتماع عند هذه النقطة...

وفي الاجتماعات الداخلية للأجهزة الأمنيةِ كلٌ على حدة، كان لكلٍ منهم طرحُ طرقٍ وقنوات اتصال لإيصال العرض للحركات الإسلامية بطريقة غير مباشرة في الغالب، منها الاتصال بالحركات التي في السجون، ومنها استخدامُ كتابٍ في الصحف معروفٌ قربهم من الأنظمة فيقوموا بعرضٍ مقترحٍ بالصلح، ومنها تسريب العرض في جلسةٍ مع مفكرٍ إسلاميٍّ مقربٍ من وزيرٍ مثلاً، وهكذا فلن تعدم هذه الأجهزةُ وسيلة، بل أحياناً يتوسطُ عنصرٌ من العناصر السابقة في إيصال العرض لحركاتٍ إسلامية خارج بلده... هذا بالإضافة لما عرضته الأجهزة الأمنية الأمريكية من نقل العروض من خلال قنوات اتصالها بالحركات الإسلامية بطريقةٍ غير مباشرة، إلا أن بعض – وليس كل – الأجهزة الأمنية الخبيثة اتخذت قراراً بأن أي حركة تأتي من خلال قنوات الاتصال التابعة للإدارة الأمريكية سيتم استبعادها لتخوفهم من أن يكون قد تم وَعْدُ هذه الحركة بأن تكون بديل النظامِ القائم في ذلك البلد!

ملاحظة:

بالطبع هذه الخطة كانت في جراب الأنظمة من قَبْل من بقايا المشاورات القديمة مع الأمريكان، إلا أن هذه الأنظمة كانت في وضعٍ من البلبلة بحيث لا تقدر على المبادرة بأي خطوة بغير الضوء الأخضر من الأمريكان، خاصةً أن المواجهة مباشرةٌ معهم هذه المرة، وأن الخطة هذه المرة حتى تكون إيجابية مع الأوضاع الجديدة يجب أن يتم توسيعها أفقياً ورأسياً، وإذا تم تنفيذ هذه الخطة بهذا الحجم بدون ضوء أخضر وفشلت فالويل للأنظمة من أمريكا ومن الجماعات الجهادية، كما أنهم بانتظار الضوء الأخضر يحصلون على ما يريدونه من دعمٍ من الأمريكان.

وبالفعل تم قبول هذا العرض من بعض الحركات الإسلامية، فالبعض دخل في هذه الصفقة ولم يصلوا بعد إلى مطالبته ببنودها الأخيرة، والبعض وصل إلى أبعد من البنود الأخيرة!

وإذا كان هناك ثمة نقاشٌ حولَ درجةِ تأويلِ هؤلاء لخيانتهم الشنيعة لإخوانهم، وهل تُصبحُ مانعاً من إنزال حكمٍ على بعضهم أم لا؟ إلا أنه لا ينكر عاقلٌ أنهم يعلمون أن ما يقومون به يصب في مصلحة أمريكا ويضر إضراراً بليغاً بالمجاهدين الذين يقفون في وجه عدوانها، ونستطيع أن نطلق على تلك الصفقة أنها (...).

انتهى الفصل الأول، وللإجابة على الأسئلة التي ستثور في أذهان البعض...

- هل يتحدث عن غيب؟ أو هل اخترق هذه الأجهزة؟!

- أو؛ ما هذا... هل هذا تحليل جديد تحت تأثير عقدة المؤامرة؟

أنبه إلى أن هذه هي الحقيقة المرة التي سيكشفها ما تبقى من هذه الدراسة الكاشفة.

الفصل الثاني
الوقائع والأدلة

وقائع موثقة من تونس ومصر والجزائر والأردن والعراق والجزيرة وتركيا، وأدلة تثبت كل ما سبق، وحوار ومكاشفة صريحة.

*　　*　　*

جمهورية تونس

هذا البلد المنكوب الذي خرج منه مصطلح "تجفيف المنابع" هو حالة مثالية في أعين الغرب جعلته يتغاضى عن هذا النظام القمعي البوليسي، وإن أي مجموعة من الشباب تدفعهم فطرتهم للالتزام في هذا البلد –خاصةً هذه الأيام – ليس أمامَهم إلا طريقُ المقاومة والإرهاب والعمل السري المنظم – المفرط في السرية – والسرية بطبيعتها تمثل هاجساً للأنظمة أنّ وراءَها أعمالٌ مسلّحة.

ويمكنك تعرّف الواقع التونسي المرّ من خلال التأمّل في هذه اللمحات البسيطة:

– إذا لاحظ رجال الأمن –في تونس – نافذةً مضيئة وقت الفجر في إحدى البنايات هذا معناه أنه من المحتمل أن صاحبها يصلي الفجر! فتبدأ التحريات وقد ينتهي الأمر بزيارته، ليس لأنه اكتُشِف له نشاطٌ ولكن لأنه مواظبٌ على صلاة الفجر!

– المساجد مفتوحة فقط لكبار السن، وإذا لوحظ أن أحداً من الشباب يتردد عليها باستمرارٍ لَحِقَ بمن قَبْلَه.

– الحجاب مضيقٌ عليه وغير مقبول إلا من العجوز التي لا يرغب فيها أحد.

– الحالة الاجتماعية والتفسخ والعهر الإعلامي لا يخفى على متابعٍ لأخبارِ هذا البلد المنكوب، ويكفي أن تعلم أن تعدّدَ الزوجات ممنوعٌ بالقانون، أما تعدد العشيقات فلا شيء فيه.

– النظام فخورٌ بهذا الوضع بين أقرانه من الأنظمة العربية، ومُحكمٌ قبضته على الأوضاع في بلدٍ رئيسها كان وزيراً للداخلية في عهد بورقيبة، وما أدراك ما بورقيبة؟!

– لم يقم النظام بهذا القمع من أجل عنف الجماعات الإسلامية، بل إن قيادة الجماعات الإسلامية في هذا البلد في السابق كانت من أكثر قيادات الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي اتباعاً للأسلوب "المودرن".

– لا يقول عاقلٌ: إن النظام هناك يريد أن يتغير، بل إن النظام حتى أحداث سبتمبر كان قِبْلَةَ وزراء الداخلية العرب يتعلمون من مدرسته، فهي القمة التي يحلمون أن يصلوا إليها ويعيقها وجودُ مجاهدينَ في بلدانهم، ولكن الأوضاع العالمية تفرض التغيير، خاصةً بعد حادثة المعبد اليهودي بمدينة جربة في تونس وقتلاها من الألمان، لذلك ولأن الحركة الإسلامية هناك توّاقةٌ للجيفِ بأي وسيلة ولو على جثث إخوانها، وبدلاً من تقديمِ مصلحةِ الدين والعقيدة والتخطيط للطريق الشرعي فإن لهم في هذه الأحداث رأياً آخر.

وليقرأ معي الأخ المستغفل والأخ المغفل هذا الجزء من هذا المقال الذي نشرته مجلة "العصر الإلكترونية" بعنوان: "رؤية حول المصالحة بين المشروع الإسلامي والسلطة التونسية: نداء ومبادرة للتجاوز والبناء"، بقلم د. خالد الطراولي، وقد جاء فيه ما يلي:

(**مشروع المصالحة:** يعتمد هذا المقترح على باب حقوقي وآخر سياسي، نعبر عنهما بالمصالحة الحقوقية والمصالحة السياسية، ولكل منهما مطالب وواجبات لكلا الطرفين.

المصالحة الحقوقية: 1) تلتزم السلطة بالعفو التشريعي العام عن كل المساجين السياسيين، والسماح للمغتربين بالعودة وإعادة الحقوق إلى أهلها. 2) يلتزم الطرف المقابل أفراداً وجماعات بالعفو عمّا سلف، وطي صفحة الماضي، وعدم الدخول في مطالب ومحاسبات لأطرافٍ أو أفرادٍ أو نظام.

المصالحة السياسية: تلتزم السلطة بتحرير العمل السياسي للمشروع الإسلامي وإعطائه الإذن القانوني بالعمل العلني، ويلتزم الطرف المقابل بجملة من البنود: 1) لا تسييس للمساجد، وتركها بيتاً كريماً بعيداً عن تدافع السياسة والسياسيين. 2) يدخل ممثلو المشروع الإسلامي الانتخابات التشريعية والبلدية، ويلتزمون بأن لا يتجاوز عدد نوابهم في المجلس وممثليهم في الهيئات البلدية الثلث من الأعضاء. 3) لا يدخل التيار الإسلامي الإصلاحي الانتخابات الرئاسية، لكنه يمكن أن يساعد أو يدعم أطرافاً مترشحة أخرى. 4) الاحترام الكامل لقانونِ اللعبة الديمقراطية ومؤسساتها وما تفرزه الانتخابات الشفافة من تغييرات. 5) الانطلاق من المرجعية الإسلامية لا يعطي التيار الإسلامي أي حق وأي احتكار للحديث عن الإسلام، الذي يبقى الجامع لكل التونسيين، فالطرح الإسلامي هي رؤية اجتهادية ككل الرؤى لا عصمة فيها لفرد ولا قدسية لفكر، تميزها مرجعيتها الإسلامية وقراءتها لتاريخها

ولحاضرها. 6) يمكن للتيار الإسلامي أن يكون متعددَ الألوانِ والأُطُر، ولا احتكار لهذه الصفة لأحد. 7) الالتزام بالابتعاد عن منطق التكفير، واعتبار الاختلاف بين الفرق والأحزاب على قاعدة الخطأ والصواب، ولا يملك أحدٌ هذا الحق الإلهي في القضاء في مصير الناس والحكم على معتقداتهم وتصوراتهم ونواياهم.

من الرابح ومن الخاسر؟ نكاد نجزم أن الحالة الراهنة المنتصر فيها مهزوم، فلا النظام مرتاح البال تماماً من الوضع الحالي سياسياً واقتصادياً، في ظل عولمة زاحفة شديدة الوطء والتأثير، وعلى وجس تنامي التطرف والغلو والإرهاب، ولا أصحاب المشروع الإسلامي في هناء ورفاه وراحة ضمير كاملة تجاه إخوتهم في الداخل والخارج، وتجاه حالة انسحاب وخمول للأفراد، وضمور للأطروحة، وغياب مضني عن واقع البلاد والعباد في تونس.

وإنّا لعلى يقين أن الحالة الجديدة التي يبثها هذا المقترح ترمي بثمارها الطيبة على كل الأطراف، فالسلطة تربح بوضع مسمى على المشروع الإسلامي الديمقراطي وعلى ممثليه، والذي لم يعد يكفي رفضه أو تهميشه أو غرس الرأس في التراب حتى يندثر، فالحالة الإسلامية قائمة ودخول الإسلام الشأن العام أضحى محسوماً فكرياً وواقعياً، ويجب التعامل معه برفق وتفهم وتدافع سلمي، وهو إقصاء لقوى التطرف والغلو التي بدأت تطأ برأسها مهددة ومتوعدة ومنغصة حال الأنظمة والعباد والبلاد، وهو كذلك تأكيد للمسار الديمقراطي الذي يصبح حقيقةً ملموسةً يعيشها الوطن ويكون الحزب الحاكم قائدها وراعيها، وعليه التباهي بها مستقبلاً ولن ينسى له التاريخ هذا الانعطاف الحضاري الكبير، وهو انفراج للسلطة مع أفراد المشروع الإسلامي، وهي شريحة انتخابية هامة يمكن أن يكون لها مردود إيجابي في الانتخابات الرئاسية القادمة.

ويربح المشروع الإسلامي بلمّ شمله ووضوح برنامجه واحترام حدوده، وبواقعيته الجديدة التي تنبذ الاكتساح وهواية القفز والعجلة، وتحترم قبول وقابلية الجماهير، وتتعامل في إطار من الشفافية والأمانة داخلاً وخارجاً.

وتربح المعارضة بكل أصنافها، حيث تضمر القطبية التي كانت مفتعلة بين السلطة والإسلاميين، والتي لم تترك حيزاً كبيراً لها للعمل واكتساب المنتمين، وتنتهي الملفات الأمنية التي كانت مبرّراً في بعض الفترات لتقلّص الهم الديمقراطي في البلاد، والذي مسّ أطرافاً من هذه المعارضة نفسها، ويربح الشعب التونسي وهو أهم هذه الأطراف، في استتباب الأمن والاستقرار وهيمنة المظلة الديمقراطية في البلاد على كل فرد، حتى يعيش المواطن كلُّ مواطنٍ وطنيّتَه جليةً ومواطنتَه كاملةً...) انتهى النقل، ثم شرع يتكلم عن حديث القلوب!

تشابهت قلوبهم...

المسألة هناك واضحة فالمقترح عقدٌ يوقع عليه طرفان وما سيربحه النظام، كما يقول الدكتور: (هو إقصاء لقوى التطرف والغلو التي بدأت تطأ برأسها مهددة ومتوعدة ومنغصة حال الأنظمة والعباد والبلاد).

وكامل المقال يغني عن التعليق، فارجع إليه أخي الحبيب في "مجلة العصر" فستجد فيه وصفة جيدة تساعدك على التقيؤ.

جمهورية مصر العربية

النظام المصري وأجهزته الأمنية من أخبث الأنظمة الطاغوتية على وجه الأرض ويستمد خبرته من كونه الوريث للنموذج الفرعوني الذي ذكره القرآن مراراً للتحذير منه فهو المثال الكوني للمنهج الشيطاني المثالي بجميع تجلياته من... السحرة... والكهنة... والسجون... والتعذيب... والمكر...والكيد... وتقسيم الناس إلى شيع وأحزاب وغيرها من الأساليب، ولولا وجود البذرة الإيمانية المتمثلة في رجالٍ أقسموا أن لا يجعلوا هذا النظام يأخذ

أنفاسه ويستقر لعمل هذا النظام الخبيث على تجفيف المنابع والوصول للحالة التونسية منذ زمن بعيد.

والجميع يعلم أن أفكار العقل الفذ للسلفية الجهادية –الظواهري حفظه الله –تضرب بجذورها في التربة المؤمنة بمصر لا تعرف اليأس وكيف تعرفه وقدوتها يتلقى الضربات منذ ثلاثين عاماً وهو يزداد ثباتاً وحنكة، ويمتص هذه الضربات بكل مرونة مهما كانت ضراوتها، وليس منه شيء وإنما ذلك كله بفضل الله ورحمته، ثبته الله وثبت جميع أوليائه.

هذا النظام عنده من البدائل الخبيثة ما يعجز الشيطان عن الإتيان بمثلها حتى إنك تحتار عندما تفكر في مَنْ يضع الخطط في اجتماعات التنسيق الأمني الثلاثية بينه وبين الأجهزة الأمنية في النظام الكفري العالمي والتي يحضرها الشيطان كطرف ثالث بصفته مراقب ومستشار؛ تحتار من يضع الخطط من الأطراف الثلاثة، إلا أنه لا يخالجني شك أنه إذا كانت الخطة من أحد الطرفين الآخرَيْن فإن النظام المصري يقوم بوضع تعديلات عليها تثير حسد الشيطان نفسه، فخطط هذا النظام واستراتيجياته في مواجهة أهل الإيمان يتم تصديرها إلى البقاع المختلفة كما ثبت ذلك في الجزائر والجزيرة وفلسطين وغيرها.

أمام النظام المصري أربع محاور لتنفيذ الخطة الموضوعة التي وضّحنا هيكلها في الجزء الأول، وقد بدأ بالفعل في العمل على المحور الأول وأعتقد أنه يَنْظُرُ حالياً في تعديل العقد مع المحور الثاني وقد رفض مبدئياً المحور الثالث لأنه أتى من خلال قنوات الاتصال الأمريكية غير المباشرة، طبعاً هو لن يخبر الأمريكان أن ذلك هو السبب – أي أنه لا يتعامل مع مرشح الإدارة الأمريكية خوفاً من أن يكون بديل المستقبل – كما أنه من المحتمل أن يتعامل مع هذا البديل إذا لزم الأمر طبقاً لتغير الأوضاع، خاصةً أن هذا البديل في اليد دائماً وتحت الطلب ومتمرسٌ في هذا الأمر، بل تقريباً بنى حجم كيانه الغثائي معتمداً على مثل هذه الممارسات خاصة في العقود الأخيرة، أما المحور الرابع فقد وقع اختيار النظام عليه كبديلٍ جاهزٍ للمحور الثالث المتمرس، فما هي هذه المحاور الأربعة؟

المحور الأول؛ تعيين علي جمعة مفتي للديار المصرية:

أخطأ بعض الأخوة في اختزال موضوع علي جمعة في أنه رجل دين أزهري تقليدي أشعري العقيدة أتى به النظام المصري لشغل منصب يعتبره النظام بكل صراحة مجردَ حذاءٍ في قدمه أو أداةً في يده من بقايا طريقة سحرة فرعون التي ينظر لها النظام دائماً بريبةٍ خشيةَ انقلاب السحرة عليه كما حدث مع فرعون في السابق، ولا شك أن الأمرَ مرتبطٌ بقضية السحرة ولكن ليسَ بأسلوبِ طنطاوي القديم البائد ولكن بالأسلوب الحديث المطوَّر.

ونشرح ذلك في النقاط التالية:

أولاً: لم يستطع أي من المفتين الذين أتى بهم النظام بعد سيد طنطاوي أن يملأ مكان طنطاوي، فهم وإن كانوا قد قَبِلوا المنصب وهم يعرفون الدور المطلوب منهم إلا أنهم يفتقدون المرونة والشجاعة الكافية التي يريدها النظام كشرطِ صحّةٍ في شاغل هذا المنصب، لذلك فعلى الرغم من تأديتِهم بعضَ دَوْرِهم في بعض القضايا التي عرضت عليهم إلا أنهم أحرجوا النظام ببعض الفتاوى التي لم تسعفهم شجاعتهم -أو قل إن شئت ضعف عدم حيائهم! - في إصدارها بما يُرْضي عنها النظام وحفنة العلمانيين والمتهودين من مستشاري النظام والإعلاميين الملاعين، لذلك وصلت نصائح للنظام بأن هذه الأشباه قليلة الجودة وننصح بالبحث عن بديل أفضل.

ثانياً: الدور المطلوب في هذه المرحلة لا يصلح معه أيضاً أمثال طنطاوي، بل الأمر يتطلب طوراً جديداً مركباً يُمزج فيه بين النموذج المصري والنموذج السعودي، ولكن النظام التزم الحذر من أن يأتي مثلاً بشيخٍ أصولُ العلمِ الذي يحملهُ وهّابية، فهو لن يعثر عليه غالباً، كما أنه مرفوض أمريكياً، وأيضاً قد يكون له آثارٌ جانبية غير محمودة على المدى الطويل، والأهم من كل ذلك أنه يريد النقيض، يريد الرجل الذي يستطيع أن يحارب الفكر الوهابي بين الشباب أو على الأقل يثير البلبلة بينهم حوله، وفي الأوساط الشعبية الجاهلة بما يملكه من حسن البيان والتمكن العلمي والسمعة غير الملوثة ليلعب دوراً في غاية التعقيد لذلك تم اختيار علي جمعة ليلعب هذا الدور... فمن هو علي جمعة؟!

سيرته الذاتية المنتشرة على مواقع الشبكة لا تكشف إلا عن تمكنه العلمي، ولا تكشف عن وضع وسمعة علي جمعة بين الشباب الملتزم خاصةً طلبة العلم فيهم، وهو الجناح الذي يدخل فيه بعض الشباب الجهادي، وكذلك تحدث داخل هذا الجناح باستمرار تحولات للعمل والجهاد ممن يعرف منهم حق العلم وضريبته، فضلاً على أن هذا الجناح له التأثير الأكبر على حركة الشباب بسبب احترام العلم بين الملتزمين بصفة عامة، فإذا انحرف هذا الجناح أو انتشرت فيه البلبلة أو تم صرفه عن غايته السامقة التي حددها الشرع فإنه يؤثر على مسيرة العمل الإسلامي ككلٍ، ومن ذلك الإغراق في تعلّم علوم الأدوات.

وأبسط ذلك قليلاً فأقول:

إنّ طالب العلم الذي لا يطلب علوم الأدوات لن يتقدم في الطلب، وأقصى غايته أن يصبح وعاءً للحفظ فقط، وهناك علمان أساسيان من علوم الأدوات ألا وهما: علم اللغة وعلم أصول الفقه، وهناك علوم أخرى مساعدة مثل علم مصطلح الحديث، وقد كان علم

المصطلح فرعاً من فروع علم أصول الفقه إلا أنه عندما تضخمت مباحثه أصبح علماً مستقلاً، ولعواملٍ لا تخفى على المتابع لطريقة طلب العلم في مصر تركّز الطلبُ على علم مصطلحِ الحديث على حساب العلوم الشرعية الأخرى، وعلى الرغم من أن هناك حركةً في باقي العلوم وبحجمٍ معقول إلا أن المقرّب من طلبة العلم هناك يعلم مقدار العجز في علماء أصول الفقه واللغة العربية، ولما كان انتشار أصحاب المدرسة العقلية متمثلةً فيما يسمى بالمفكرين الإسلاميين وبعض قيادات الأخوان أو بعض ممن يلتف حوله شباب الأخوان المسلمين كثيراً فقد شعر طلبة العلم بأهمية إتقان علوم الأدوات الأساسية للرد على أصحاب المدرسة العقلية الذين يحفظون بعض الأصول وبعض القواعد الفقهية ويُنَظِّرون بها بما يوقع كثيراً من طلبة العلم في حالة من الحيرة عند الإنكار على بعض ترهات هؤلاء العقلانيين، ولهذا الأمر جوانبُ ستخرجنا عن صلب الموضوع.

ويمكن أن نقول -اختصاراً ولتقريب الأمر للقارئ -: إن علم الأصول له طرقٌ ومذاهب لدراسته، منها طرق بدأها المتقدمون من الأحناف والإمام الشافعي، أما طريقة متقدمي الأحناف فهي تخريج الأصول على الفروع، أما طريقة الإمام الشافعي فتتركز على الاعتماد على أصول اللغة العربية وأصول البيان العربي وتفسير القرآن بالقرآن والسنة والأثر واستنباط الأصول القواعد الفقهية من ذلك مسترشداً بطريقة فهم واستنباط الصحابة للأحكام.

ثم ظهرت بعد ذلك مدرسةٌ تبناها جمهور فقهاء الأمة أدخلت علم الكلام والمنطق في مباحث هذا العلم، واعتمد الخلف هذه الطريقة في كل المذاهب تقريباً، ورغم تحذير علماء السنة منها إلا أن هجمة مدرسة الاعتزال المتمكنة من هذا العلم دفعت كثيراً من العلماء إلى تعلم هذا العلم للرد على المعتزلة، وقد أدى هذا الأمر بعد ذلك إلى شحن آلافٍ من كتبِ الفقهِ عند المتأخرين بمصطلحاتِ علم الأصول المعتمدِ على طريقة علم الكلام، مما دفع كثيراً من طلبة العلم إلى تعلّم الأصول على طريقة المتكلمين، كما تعلموا الأصول على طريقة المتقدمين من قبل، ولم يجد طلبة العلم من يشفي غليلهم مِنْ تَعَلّمِ هذا العلم إلا علماء الأزهر، فاتجه كثيرٌ من طلبة العلم إليهم لطلب هذا العلم، فضلاً عن أن كثيراً من طلبة العلم طلابٌ بالأزهر.

وهنا برز نجم "علي جمعة"، فعلي جمعة أكثر علماء الأزهر تمكناً من علمي أصول الفقه وعلوم اللغة العربية، بل وبطريقةٍ مبهرةٍ كما يحكي من يحضر له، فضلاً عن تمكنه من باقي علوم الشريعة، أشعريٌّ متعصب يخفي أشعريته خلف ستارٍ من التواضع والتقرب من طلبة العلم بأساليب ذكية، وإعادة تفسير عباراتٍ تظهر تعصبه وحقده على عقيدة السلف،

وإن كان كلما اقترب منه طالب العلم أكثر صرح له بما لا يصرح به أمام عموم الطلاب، وهو دارسٌ لكتب شيخ الإسلام دراسة جيدة حتى كأنه يحفظها، تجده مع عموم الطلاب يمدح شيخَ الإسلام ويعلن فقط أنه يختلف معه بأدب، وهو لا شك صادقٌ في أنه يقّدرُ علمَ شيخِ الإسلام، إلا أنه أَمَامَ خواصِّ الطلاب تصدر منه عبارات السخرية عند الحديث عن مقرر اعتقاده بحيث أنه يَفْصِلُ بين علم شيخ الإسلام والاستفادة منه وبعض اعتقاداته وآرائه.

منذ سنوات ذكر لي أحد الأخوة ممن يطلب عنده العلم أنه جاء ذكر تكفير حسني مبارك أمامه في إحدى الجلسات، وكيف أن التيارات المنتسبة للسلفية تختلف عليه، فسِخِرَ وأظهرَ الاستهزاء مِنْ أَنّ هناك مَنْ لا يزال يختلف ويتناقش في هذا الأمر الواضح –أي أن مبارك عنده كافرٌ بوضوحٍ لا يستحق النقاش معه –وقد ذكر صاحبي هذا لي عندما كنت أحدثه عن إرجاء الأشاعرة –تذكرت هذه القصة عندما قرأت خبر تعيينه، وأعتقد أن لها دلالةً معينة –

القصد: أن كثيراً من المتميزين من طلبة العلم بدأ يتردد عليه، وقد اتخذ منه شيوخُ المدرسةِ السلفية في مصرَ موقف الحذر أو التحذير، ولكن لم يلتفت الكثيرون لهذه التحذيرات وأقبلوا على الدراسة عنده، وكنت عندما ألتقي ببعض من يحضر عنده من المدرسة السلفية أو طلبة العلم من تيار الجهاد كنت أنصحهم بعدم التردد عليه وأقول لهم: إن لَزِمَ الأمر فليَحْضُر عنده بعض المتمكنين من عقيدة السلف، وبعد هضم العلم عنده فلينقلوا هذا العلم بقدر الحاجة للطلاب الذين يدرسون الفقه المقارن مع تحذيرهم من مضلات مباحث هذا العلم، وقلت لهم: إن هذا العلم في الأساس يُطلب من أجل فهم مصطلحات الفقه المقارن، والرد على المبتدعة الذين يتحدثون به، وأنه في حقيقته لا عَمَلَ من وراءه، ولا ينبغي مخاطبة الناس به أو تدريسه على كونه علماً نافعاً في ذاته، وأنه يجب أن يفهم طلبة العلم أن هذا العلم من الأسباب الرئيسية لضلال الأمة بعد القرون المفضلة – أقصد علم الكلام وعلم الأصول على طريقة المتكلمين –

المهم –كما قلت –أن المدرسة السلفية انقسمت في موقفها من هذا الرجل، والقسم الذي حضر درسه منهم انقسم بدوره إلى قسمين: قسمٌ خرج مبهوراً من علم وذكاء هذا الرجل، حتى وصل الأمر ببعضهم أن يقولوا إن هذا الرجل فتنة، يقولون: نحن نعلم أن هذا الرجل ضال ولكنه فتنة! والقسم الآخر خرج بوجهٍ غير الوجه الذي دخل به، ولأول مرة نسمع بين طلبة العلم في المدرسة السلفية مناقشات جديدة مختلفة حول ماهيّة البدعة، وهل الاحتفال بالمولد النبوي بدعة وإثم؟ أم العكس؟! وهل...وهل؟!

ولأول مرة نسمع مِنْ هؤلاء مَنْ يحاول إثبات أن عقيدة التفويض هي عقيدة السلف، وبَدَأتْ تنتشر مظاهر معينة يعلمها من اختلط بهؤلاء، وقد كان منهم من يمثل صفوة طلاب العلم في السابق، وللمسألة أبعادٌ تربوية وأبعاد أخرى مختلفة تخرجنا عن الموضوع.

من كل هذا يتضح خطورة هذا الرجل وحقيقة الدور الذي دفع النظام لاختيار رجل جاء على لسانه أن مبارك كافر؟! ويبدو أن الرجل قد تسرب إليه –عمداً –أن النظام يفكر في تعيينه مفتياً فوقع تحت إغراء المنصب، أو ربما زيّنَ له الشيطان أن هذا المنصب سيخدم به الدعوة ويصلح الناس وينشر العلم وينصر المذهب، وأنه لا مانع من مغازلة النظام حتى يعرف النظام أنه يستحق المنصب، وأن هذه المغازلة لا إثم فيها حتى لو خالفت المذهب، لأن مصلحتها أكبر من مفسدتها!

ولذلك صدرت منه فتوى قبل اتخاذ القرار بتعيينه مفتياً يضحك منها من يعرف حقيقة المنهج الأصولي الذي ينتمي إليه، قال في فتواه: إنه لا يعلن الجهاد إلا "الإمام"، بل وزاد في سياق الكلام وقال: (رئيس الدولة)، ومَنْ يقرأُ الفتوى يظن أننا أمام أحد تلاميذ ربيع المدخلي، لا أمام شيخٍ مشايُخُهُ هم الغزالي صاحب المستصفى والجويني صاحب غياث الأمم!

وتكلم عن عمليات الرياض والدار البيضاء، مع أن شيخ الأزهر طنطاوي بعدها بفترةٍ قصيرة زَجَرَ أحد العلماء لإفتائه في الوضع العراقي قائلاً: لن نزايد على علماء العراق – وكأننا في سوق للخضروات –فلا أدري كيف فاته ذلك الذي يزايد على علماء الجزيرة!

طبعاً أجهزة الأمن المصرية لا تعرف علم الأدوات ولا تُقّدرُ الأمر على هذه التفاصيل العلمية، ولا تتصورها جيداً في الغالب، ولكنها بالتأكيد لاحظت الزَخَمَ الذي يدور حول هذا الرجل، كما أن مصادرها الذين يحضرون دروس المشايخ والعلماء للتجسس متخفين أحياناً في هيئة طلاب علم، ويدبغون بعدها التقارير الإرشادية التي توصي توصياتٍ مختلفة من إيقاف شيخ أو اعتقال آخر أو تلميع ثالث أو ترشيح رابع لدور معين أو لمنصب أو إجازته للظهور بالتلفاز إلى آخر تلك الأغراض، لا شك أن أحد هذه التقارير من مرشدٍ خبيث رشحت علي جمعة لهذا الدور بين بقية المرشحين خاصة في ظل الأوضاع الحالية.

والنظام المتّبع في مثل هذه الظروف هو مثل النظام المتبع في تعيين خطيب مسجدٍ كبيرٍ مثلاً، أي أنه يتم استدعاء الشيخ إلى مباحث أمن الدولة وإخباره بما هو مرشحٌ له والاتفاق معه بأسلوبٍ رشيقٍ في الغالب على أنه مطلوب منه توعية الناس ونشر العلم بينهم بما يخدم أغراضاً وأهدافاً معينة، وأسلوبهم معه يتناسب مع قدر معرفتهم به ومعرفة تاريخه، إلا

أن الفرق هنا أن المفتي لا يُستدعى إلى مباحث أمن الدولة ولا يجلس معه ضابط عادي، وإنما يستدعى إلى رئاسة الجمهورية أو رئاسة مجلس الوزراء ويجلس معه وزير أو عضو في المكتب السياسي لعقد الصفقة، ويا ليت هذه الصفقة تقتصر على ما دار في الاجتماع وإنما هي شَرَكٌ وفخ لما بعده، خاصة مع تكامل باقي المحاور.

نسأل الله أن يلطف بنا، وأن يجعل كيدهم في نحورهم.

المحور الثاني؛ السلفية الإصلاحية ومُنظّرها العالمي المصري جمال سلطان:

ما هو وضع السلفية الإصلاحية في مصر؟ ومن هو جمال سلطان؟

خط وتاريخ السلفية الإصلاحية في مصر لا يختلف كثيراً عن مثيلاتها في الجزيرة، تيارٌ يتبنى الإصلاح السلمي وله قيادتان، قيادةٌ تنشر العلم بين الشباب وترسّخ الأحكام السلفية بقدرٍ ما، وأشهر من يمثّلها في القاهرة الشيخ محمد عبد المقصود والشيخ فوزي السعيد فرج الله عنه، وفي الإسكندرية الشيخ محمد بن إسماعيل ومَنْ حوله من المشايخ، وفي باقي المحافظات يوجد أمثالٌ لهؤلاء، هذا بالنسبة للقيادة العلمية لهذا الاتجاه، أما القيادة الفكرية والتنظيرية فيمكنك أن تقول أن الشباب متابع لما ينشر في مجلات "البيان" و "السنة" و "المنار الجديد"، وإن كان تصيبه بعض الحيرة من التباين الفكري والاختلافات الموجودة بين رؤية كل مجلةٍ حول الموقف من الواقع في بعض القضايا الأساسية، كالموقف من دخول المجالس النيابية وإنشاء الأحزاب وأعيان الحكام!

الموقف من الواقع:

يُعلن هذا الاتجاه حتى هذه اللحظة أن الحكم بالقوانين الوضعية كفرٌ أكبر، إلا أنه عند إنزال الحكم على الأعيان لا تستطيع أن تخرجَ منهم برأيٍ محدد، فيمن؟ في ولي الأمر المشتبه في أمره –حسني مبارك وزبانيته! –

إلا أنك تلاحظ إرهاصات عندَ مَنْ عِنْدَه بعض الوعي منهم بفهمِ هذه القضية فهماً سلفياً منضبطاً، ويُغذي ذلك الفهم أن بعض القيادات العلمية تصرّح في جلساتها الخاصة أنهم يكفّرون مبارك بعينه ولكن لا يستطيعون إعلان ذلك!

الخطوات العملية لهذا التيار من الواقع هي تجريبُ الوسائل السلمية الجائز منها وغير الجائز، فلا تدري ماذا يريدون حقاً... هل يريدون إنشاء مدرسةٍ علمية؟ أم هل يريدون إنشاء حزبٍ ودخول البرلمان به؟ لا تدري ماذا يريدون فعلاً؟!

وهذا الاتجاه منذ حوالي أربعين سنة منذ أن أسسه الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق قبل انتقاله من مصر إلى الكويت لم تضبط الأجهزة الأمنية له قضيةَ إعدادٍ ماديّ واحدة، ليس لأنه مغرقٌ في السرية ولكن لأنه لا يُعدُّ مادياً، حتى إن أحد الرموز الكبار لهذا التيار سافر في رحلةٍ دعوية إلى "بيشاور" بدايةَ التسعينات، وعندما عاد طالَبَ بأهمية فتحِ باب الإعداد والتدريب، فتم تعليقُ ورقَةٍ على بابِ جميع المساجدِ في محافظته بأنه لا يمثّل الدعوة السلفية، وتم أخذ جميع المساجد التي كانت تحت إشرافه وتركوا له مسجداً وحيداً مع أنه كان يُعتبر القيادةَ العلميةَ الثانية...

حسناً استقر هذا التيار الآن على نظرية الاتجاه العالمي للسلفية الإصلاحية المسماة: "إنشاء المؤسسات"... وهذه النظرية مع هشاشتها في منبعها بالجزيرة، فإنها تستحيل في بلدٍ يحكمها نظامٌ كنظام مبارك، إلا أن جمال سلطان المنظر العالمي للسلفية الإصلاحية له رأيٌ آخر وله أساليبه الخاصة، فمن هو جمال سلطان؟

حتى نعرف قدر جمال سلطان كمنظر عالمي لاتجاه السلفية الإصلاحية اقرأ معي أخي القارئ الكريم هذه الفقرة من مقالٍ في مجلة "العصر" بعنوان "مراجعات متأملة في المشروع السلفي الإصلاحي" للكاتب محمد سليمان – أردني – يقول محمد سليمان بعد مقدمةٍ ونقاط طويلة جعل فيها المشروع السلفي الإصلاحي امتداداً لمنهج ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب! يقول: (وساعد هذا الاتجاه وجود عدد من العلماء والدعاة المعروفين والموثوقين، مثل: د. سفر الحوالي، الشيخ سلمان العودة، د. ناصر العمر، د. محمد الأحمري، أ. جمال سلطان، وغيرهم من علماء ومثقفين ومفكرين، ومن سمّاهم خالد حسن "السلفيين المسيّسين" في الجزائر، بدءوا جميعاً بمراجعة أوراق المشروع السلفي الإصلاحي، وتلمس الطريق إلى المستقبل...) اهـ

أضف إلى ذلك أن جمال سلطان كاتبٌ لامع في مجلتي "البيان" و "السنة" منذ أكثر من عشر سنوات بل وقام في السنوات الأخيرة بتأسيس مجلة "المنار الجديد"، وأصبحت مجلةً نخبوية يكتب فيها ويقرأها النخبة من التيارات الإسلامية على الساحة المصرية والعالمية.

وقبل أن نبيّن كيف سيقيم جمال سلطان المؤسسات الإسلامية في "(دولة مبارك وأولاده"، وما هي الطريقة السحرية التي ستجعل المستحيل ممكناً، ولا شك أن له خبرةً في

تأسيس مجلة إسلامية في هذا البلد، ولعلنا حين نعرف طريقته نكتشف سر السماح لهذه المجلة، يجب أن نبين باختصار جذور وتاريخ ذلك الرجل، ففي مقالٍ لجمال سلطان – نُشِرَ بموقع الإسلام اليوم – يقارن فيه بين نفسه عندما كان شاباً صغيراً وبين "عمروسي" صاحب تفجيرات بالي، وقد افتتح المقال بصيغةٍ توحي أنه يمدح عمروسي حفظه الله، إلا أنه كان يغمز فيه ويلمز، المهم حكى عن نفسه كيف أنه عندما كان شاباً وقد اعتقل في سجون مبارك في بداية الثمانينات، وكيف أنه لما رأى عمروسي تذكر نفسه داخل السجن وحماسه وسيطرة العواطف عليه... إلى آخر تلك الأسطوانة، وكيف أنه عندما نضج واستمع لنصائح ذوي الخبرة تغيرت رؤيته... إلى آخر تلك الأسطوانة.

ما ألمح إليه جمال سلطان في مقالته هو أنه كان يحمل الفكر الجهادي وتراجع عنه، إلا أن هذه ليست الحقيقة، فجمال سلطان بداياته كانت مع جماعات الغلو في التكفير، لذلك يحمد له تراجعه وحق عليه أن يتوب!

القصد: بعد خروج جمال سلطان كانت له تحولات جيدة بالفعل، وكانت له فترة كتب فيها بعض الكتابات الجيدة مثل كتبه في الرد على التيارات اليسارية والعقلانية بل إن له كتابات جيدة جداً في الرد على بعض المفكرين الإسلاميين أمثال؛ محمد عمارة وفهمي هويدي بل ردود على القرضاوي والغزالي، وكان من أمتع ما كتب في ذلك كتابه؛ "جذور الانحراف في الفكر الإسلامي المعاصر"، والذي أقترح عليه إعادة قراءته، فإن هذا الكتاب مفيد جداً له الآن.

انطلاقة جمال سلطان بهذه المصنفات وحِرْفِيتُه في معرفة مصطلحات القوم وكيفية الرد عليهم جعلت منه كاتباً لامعاً في أوساط الشباب السلفي، وأصبحت كتبه موجودة على أرفف المكتبات السلفية التي كانت نادراً ما تعرض هذا الصنف من الكتب، فكتب الردود التي كانت تنشرها تلك المكتبات في السابق كانت عبارة عن ردود تقليدية يستطيع المردود عليه أن يتفلت منها أمام العامة لأنها مكتوبةٌ بغير المصطلحات التي يكتب بها آراءه، وقد رافق انتشار كتبه في المكتبات كتابته في مجلتي "السنة" و "البيان"، وقد أصبح كاتباً مميزاً فيهما.

في هذه الفترة كنت أَحْضُرُ بعضَ الندوات السياسية والفكرية التي تنظمها جريدة الشعب التابعة لحزب العمل الإسلامي، وتدعو إليها تياراتٍ فكرية من مختلف الاتجاهات إسلامية وغيرها، وكان بعض هذه الندوات يحاضر فيها جمال سلطان أو يأتي ليستمع مع الحضور وكنت أتعجب عندما أراه بعد انتهاء الندوة يقوم ويصافح بعض من كان يرد عليهم ويتهمهم بأشد الاتهامات كالانحراف والنزوع إلى الزندقة وغير ذلك من أمثال محمد عمارة

وبعض المفكرين الإسلاميين، وكنت أعتذر له في نفسي وأقول لعله يؤلف قلوبهم وقد لمس فيهم تجاوباً، إلا أني فوجئت وفوجئ القراء بعد ذلك بعدة سنوات بجمال سلطان عند تأسيس مجلة "المنار الجديد" يجعل محمد عمارة وبعض المفكرين الإسلاميين في الهيئة الاستشارية للمجلة، وذلك على ما أذكر استمر حتى العدد الثاني، إلا أنه قام برفع أسمائهم بعد ذلك مع بقائهم كتاباً في المجلة تحت شعار "المقالات المنشورة لا تمثل المجلة بالضرورة!"، بل وقام بمحاولة إنشاء حزب سياسي يشارك في المجالس النيابية! ورفضت الدولة ولكنه مازال يحاول.

في هذه الفترة كان مدّ الجماعات الجهادية في ذروته قبل أن توجه لها الضربات الأمنية، وكانت باقي التيارات يسمح لها بالانتشار والعمل في الساحة لسببين:

1) إما لكون الأجهزة الأمنية مشغولة بالتيارات الجهادية.

2) أو أن النظام المصري كان يسمح لتيارٍ ما بحرية الحركة مقابل الرد والطعن في التيارات الجهادية، وهذه النقطة لا تخفى عن القريب من قيادات العمل الإسلامي والدعاة في مصر، والمخلصون منهم يصرّحون في جلساتهم الخاصة بأنهم حين يستدعون للمباحث يُطلب منهم هذا الطلب بكل وضوح ثمناً لتركهم يعملون بحرية، وأعتقد أن المستجيب منهم يقول في نفسه: لا حرج، فأنا أختلف مع آراء هذه الجماعات فلم لا أفعل وأُفيد دعوتي؟!

عودة إلى جمال سلطان:

الحل السحري الذي يريد جمال سلطان استغلاله لإنشاء مؤسساته الإسلامية – يُقصد بالمؤسسات الإسلامية: كياناتٌ كبرى، مدارس علمية شرعية، وكيانات اقتصادية ومؤسسات بحث علمي وتقني تخدم الإسلام وكيانات فكرية وسياسية... إلى آخر تلك الأسطوانة –

وقد قلنا من قبل أن هذا يمكن أن يُناقش في حدوثه مع مرقِّعٍ لدولة آل سعود، مع أنه لا يسلّم له شرعاً وعقلاً طبقاً للسنن، ولكن أن يُناقش هذا في دولة "مبارك وأولاده" الذي له تجارب مع هذه المؤسسات من قبل فهذا هو العجب بعينه، فقد كان مبارك يترك هذه المؤسسات حتى تنمو وتزدهر، ثم يَرِثُها ويرسل أصحابها إلى فترة نقاهة في أبي زعبل، واسأل الريان والإخوان!

(لا... لا... النظامُ تغيّر، وهو نظامٌ أمين ويمكننا أن نضع أيدينا في يده لمواجهة الهجمة الأمريكية!).

أيها الخبثاء عليكم من الله ما تستحقون، هل هناك عاقلٌ إلا وهو يقول إن هذا النظام ما هو إلا صنيعة إبليسية أمريكية لا يمكن أبداً أن يفعل شيئاً لمصلحة الناس في مصر فضلا عن الإسلام والمسلمين!

ووالله إنكم تعرفون ذلك جيداً، ولكنكم ترّوجون هذا الكلام إما للضحك على البلهاء من الأتباع أو الصنف الآخر منهم الذي يفهم كل شيء ولكنه يريد حقنة المخدر التي ترحمه من تأنيب الضمير أنه تخلى عن إخوانه من علماء وشباب المجاهدين.

يقول جمال سلطان متقرباً إلى الأنظمة على حساب دماء إخوانه –عليه من الله ما يستحق –، في مقال له بعنوان "صورة عمروسي!" نُشر بموقع الإسلام اليوم: (إن المواجهة مع الحركات الإسلامية المتشددة والتي تنتهج العنف سبيلاً بشكل خاص يحتاج إلى آلياتٍ خاصة، تمتزج فيها الحكمة بالصرامة، وعلوم النفس والاجتماع مع علوم الأمن وخبراته، وتتلاقى فيها جهود الفكر والحوار الجريء مع قوة السيطرة وحاجات الأمن الضرورية.

قضية الحركات الإسلامية ليست قضيةً أمنية، هذا هو المدخل الخطأ الذي تولد عنه مسلسل الرعب الدموي في العالم كله الآن، القضية الإسلامية قضيةٌ فكرية وسياسية في المقام الأول، وعندما نتعاطى معها وفق هذا المنظور سيكون من السهل كثيراً احتواء معظم مشكلاتها، واستيعاب روح المواجهة وثقافة الموت، وربما النجاح في تحويلها إلى روحٍ بنّاءة ومسئولة، أما العنف وحده فهو يغري بالمزيد من العنف، والصرامة وحدها تغذي عزيمة الطرف الآخر وصلابته على ما يعتقده، وأما التعذيب واستسهاله فهو الباب السحري لتحويل المسألة إلى مأزق إنساني لا خلاص منه، ولقد كانت التجربة المصرية جليةً في هذا المجال) ا.هـ

وهو هنا لم يترك لنا مجالاً لنتأول له قوله أو نعتذر له، فهو يُوَجّهُ إلى الأَنظِمَةِ المرتدةِ نصيحةً باستخدام الصرامة والعنف –ويشملها القتل والسجن –مع التيارات الجهادية، ولشفقة قلبه على الأنظمة لتنجح وسائلها يطلب منها أن تمزج عنفها وصرامتها بالحكمة وأن تتوقف عن التعذيب، يا له من قلب رحيم![4]

[4] – ويشبه هذا الموقف إلى حدٍ كبير موقف سفر الحوالي حينما استضيف في قناة صالح كامل (اقرأ) وقال: بأنّ الحل الأمني وحده لا ينفع مع هؤلاء، ويشبه هذا الموقف أيضاً موقف ناصر العمر حينما استضافته قناة المجد بعد أحداث الرياض وقال كلاماً مشابهاً، وهو نفس التفاهة التي تحدث بها محمّد العوضي عن أبطال غزوة منهاتن في قناة الجزيرة بعد عرض وصية الشيخ أبي العباس العمري.

علّق أحد الأخوة وهو لا يعرف جمال سلطان على ذلك المقال بأن كاتبه يعمل مستشاراً للأجهزة الأمنية، ومقالة جمال سلطان هذه كتبها مؤخراً ويبدو أنه كتبها بعد أن تم طرح العرض عليه طبقاً لمؤهلاتٍ سابقةٍ كان يلعب دورها عندما أسس مجلته المنار الجديد "العالمية"، فهذا ما استقر عليه الحال أما قبل ذلك فجمال سلطان كان يعرض خدماته على الحبلين حبل أمريكا وحبل الأنظمة ويبدو أنهما وجدا فيه ضالتهم المنشودة!

ألا ما أعظم رجال الجهاد، انظروا إلى جمال سلطان وهو يعرض نفسه وحركته لتستغل أو تستغل من الحبلين.

يقول جمال سلطان في مقال له بعنوان "حرب العراق... هموم مستقبلية" نُشِرَ بموقع الإسلام اليوم: (هذه التطورات الجديدة من شأنها أن تفرض على الإسلاميين – بشكلٍ خاص – وعياً جديداً بها، وقدرةً عالية على التعامل بحكمةً وأفقٍ مستقبلي معها، فإعلان الرفض الكامل لكل ما يطرح من قبل القوى الغربية – بما فيها أمريكا – ليس موقفاً حكيماً، كما أن التصديق الكامل لكل العبارات والرؤى الجميلة التي تعلن عنها الإدارة الأمريكية هو محض سذاجةٍ سياسية، وكذلك الموقف من النظم الرسمية في العالم العربي، إذ إنه من الممكن – بل الراجح – أن تحاول كثير من النظم فتح أبواب التواصل مع التيارات الإسلامية وكسب وُدّها لجعلها في صفها ضد الضغوط الأمريكية، بوصف الإسلاميين هم القوة الشعبية والجماهيرية الوحيدة تقريباً في الشارع العربي، وبنفس المنطق نقول أيضاً: بأن رفض أية مبادرات سياسيّة داخلية للإصلاح وتحسين الأوضاع السياسية والإنسانية في المجتمع من قبل الحكومات هو موقفٌ غير حكيم، وبالمقابل فإن الدعم المطلق والمجاني لموقفِ هذه النُظُم – أمام الضغوط الأمريكية أو الأوربية دون أن تُقْدِم على مصالحات عملية مؤسسية مقنعة مع شعوبها – هو سذاجة، وإنما الأمر تحكمه اعتبارات المصالح العامة للمجتمع وهويته ودينه، وكرامة إنسانه وحرياته العامة، واستقلال إرادته السياسية محلياً ودولياً، وباختصارٍ اضطراري نقول: بأن العواطف وحدها – في هذه اللحظة التاريخية الفارقة – تكون سلوكا أحمق، والعقل والحكمة والوعي السياسي والتاريخي والمستقبلي هو وحده الذي يجعل الأمة تفيد من هذه اللحظة لصالح حاضرها ومستقبلها) اهـ.

ألا لعنة الله على تلك المصالح المزعومة التي يكون ثمنها دماء خيرة رجال هذه الأمة.

وبعد...

هذا هو ما وصل إليه المشايخ وهذا فهمهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو منهج الرسول صلى الله عليه وسلم! هذه هي السلفية وهذه هي تيارات الإصلاح

وهذا هو طريق الصحب الكرام في المرحلة المكية بل والمدنية (حتى لا تغضب علينا المدنية) هذا هو الطريق كما تحكيه كتب السيرة لا ينخرم قيد أنملة!

ونرجو ألا يأتي لنا أحد الإخوة بنصوص للكاتب أو لغيره في تلك المواقع تمجد الجهاد مثلاً أو تنصره في الشيشان أو أفغانستان مثلاً فما هذا إلا شعارات تُرْفع ليسير خلفها البلهاء، أو من يريد حقنة المخدر لترحمه من تأنيب الضمير، أو تسلّقاً على جهد الصادقين ودماء الشهداء، أما التفسير الحقيقي لما يدور في الواقع من مواقف عملية حقيقية فهو ما نقلناه.

المحور الثالث: الحركة الإسلامية الأم –الأخوان المسلمون بمصر

سبق أن قلنا: إن النظام المصري رفض هذا المحور لأنه أتى من قنوات اتصال أمريكية –غير مباشرة –فالنظام يخشى أن يتحول هذا المحور إلى بديلٍ له، يضعه الأمريكان لمغازلة شباب الإسلام، خاصةً أن دراسات الأمريكان عن الإخوان وتيارات شبيهة بهم مثل جماعة أردوغان بتركيا أكدت لهم أن هذا التيار سيكون رهن إشارة مَنْ يَسْمَحُ له بالحكم، طبعاً لن يُصَرّحُ النظامُ المصري للأمريكان بذلك السبب، كذلك يعلم النظام أنه لو رفض هذا المحور فلن يجد صعوبةً في استدعائه إذا لزم الأمر، فهو جاهز وتحت الطلب.

منذ خروج الإخوان من السجون في السبعينات لا مانع عندهم من عقد مثل تلك الصفقات على حساب جماعات الجهاد، وليرجع القراء لكتاب "الحصاد المر"، وكتيب "الحوار مع الطواغيت مقبرة الدعوة والدعاة"، وهم متمرسون في هذا الأمر، ويعلمون غدر الطواغيت بهم ويمتصونه لتحقيق أهدافهم في البقاء، فالمهم عندهم هو البقاء.

فتجد الطاغوت يغدر بهم بعد استنفاد غرضه منهم، ثم يعاود طلبه لهم فيستجيبون وهم يعلمون أنه سيغدر بهم كعادته بعد أن يستخدمهم في سحق إخوانهم، فعلوا ذلك في أكثر من بلد، وكانوا يَدّعون التأويل في كل مرة وأن طريقتهم عليها أدلة بفهم علمائهم، وأن تحقيقهم لأغراض أنظمة الردة حتى لو تسبب في سحق إخوانهم لا شيء فيه، فالأنظمة عندهم شرعية وإخوانهم أخطأوا السبيل!

لقد خرج علينا المرشد السابق "مصطفى مشهور" ليعلن أن الإخوان ستقام دولتهم خلال ثلاثين عاماً، ولا أدري لماذا لم تكن عشرين أو أربعين! ولماذا يقيمون دولتهم ما دامت الأنظمة شرعية! وهل هي مثل دولة عرفات الذي كان يقول إنه سيعلنها بعد ستة شهور ثم يعود ويؤجلها سنة ثم سنة أخرى ثم يبدو أنهم لن يسمحوا له بها!؟

المهم أن الأمر اختلف مع المرشد الجديد الهضيبي، ويبدو أن الظروف الدولية قد تسمح لهم بإنشاء دولتهم سريعاً دون انتظار ثلاثين عاما!

ولنترك "محمد ابراهيم مبروك" يحدثنا عن ذلك المحور المرفوض من النظام المصري حتى هذه اللحظة: محمد ابراهيم مبروك باحث إسلامي محسوب على "حزب العمل" وله كتابات في الرد على التيارات العلمانية، وقد نشر دراسته هذه في مجلة المحايد بعنوان: "هل يتبنى الغرب الإخوان بديلاً لبعض الأنظمة العربية؟".

وكان مما جاء فيها: (إلا أن التساؤلات عن أسرار هذه العلاقة ازدادت إلحاحاً في الآونة الأخيرة بعد انكشاف أمر اللقاء الذي جمع بين بعض القيادات البارزة لجماعة الإخوان المسلمين وعدد من ممثلي سفارات الدول الغربية كالسويد وبريطانيا وكندا والذي ساعد في الإعداد له الدكتور سعد الدين إبراهيم المعروف بصلاته الوثيقة مع الغرب، وهو الأمر الذي بدا راجحاً لدى المراقبين أنه السبب الحقيقي لتصاعد الحملات الأمنية ضد الإخوان، لأنه قد كان بادياً للجميع مدى تقارب مواقف الجانبين "السلطة والإخوان" تجاه الأحداث الأخيرة التي شهدت احتلالاً أمريكياً للعراق والتي مثّل فيها الإخوان على الرغم من التصريحات المعلنة التي تبارت معها السلطة فيها عامل تهدئة للقوى الإسلامية والوطنية الأخرى، فكانوا بذلك خير معين للحكومة في هذا السياق.

إذاً فالتفسير المنطقي لهذه العلاقة والمناقض لتلك الصورة المشاعة تماماً أن غضب السلطة على الإخوان ليس بسبب مناهضتهم للغرب، وإنما بسبب تقاربهم معه، وأن الصراع بين الطرفين ليس صراعاً بين متناقضين وإنما صراع بين متنافسين، ولا يعني ذلك قدحاً في أي جهة من الجهات فالعمل السياسي يسمح بقدر من المرونة في التقارب والتباعد مع الآخرين أيّا كانت مساحة الخلاف معهم.

ولا يعتمد هذا التفسير على اللقاء المشار إليه، والذي يأتي كحادث كاشفٍ له – فقد زادته الحملات الأمنية التي أعقبت ذلك افتضاحاً – ولكن له شواهده الكثيرة فقد كان هناك حديث طويل عن مثل هذه الصلات بين الإخوان والغرب في وسائل الإعلام عندما بلغ الصدام بين السلطة وجماعات العنف ذروته أواسط التسعينيات وشاع الحديث عن بحث

الغرب عن بديل، وشهدت السنوات الأخيرة تعاوناً ملموساً بين الأمريكيين تحديداً وعدد من القيادات ذات الأصول الإخوانية في بعض الدول مثل رباني وعبد رب الرسول سياف في أفغانستان، وكذلك رجب أردوغان في تركيا، مازال كثير من الناس يذكر فتوى الدكتور القرضاوي "المرجعية الفقهية الإخوانية الكبرى" بجواز قتال المسلم الأمريكي تحت لواء جيشه للطالبانيين الأفغان ويجاهر الأمريكيون الآن في كل مناسبة بأن النموذج الديمقراطي التركي المعدل – المزعوم إسلاميته – هو النموذج الذي يرشحونه لِتَسَيّدِ المنطقة العربية في مرحلة ما بعد صدام.

إذاً فالموضوع ليس عجيباً ولا غريباً كما قد يبدو لدى البعض، بل إنه من الناحية الاستراتيجية البحتة فإن خيار تعاون الأمريكيين مع الإخوان أو على الأخص مع التيارات المتطورة عنهم قد يكون هو الخيار الأنسب والأكثر معقولية بالنسبة للأهداف الأمريكية في المنطقة من جهات كثيرة.

فما تستهدفه البراجماتية الأمريكية هو وجود نمط من الحكم يتوافق مع أهدافها ويكون له قبول جماهيري يحقق الديمقراطية المدعاة.

ومن الناحية الفلسفية البحتة فإن الدين –أي دين –يكون مقبولاً لدى البراجماتية بقدر ما يحققه من مصالح.

ونظراً لارتباط جماهير أمتنا بالإسلام فإن استعداد الأمريكيين للتعاون يكون مهيأً مع أكثر التيارات قدرة على تطويع المفاهيم الإسلامية للتوافق مع المصالح الأمريكية دون أن تفقد مع ذلك شعبيتها الجماهيرية.

ومراجعةٌ بسيطة للتيارات الإسلامية الفاعلة تكشف لنا أن الإخوان المعتدلين دائما –والذين استأثروا بتلك الصفة لأنفسهم تواطأت معهم على ذلك بعض وسائل الإعلام التي عملت في نفس الوقت على إزاحة بعض التيارات الأخرى إلى خانة ابن لادن –هم أكثر التيارات المرشحة لذلك، حيث غدت الكثير من الأطروحات الغربية كالديمقراطية ومبدأ تداول السلطة والمجتمع المدني بفضل الاجتهادات الإخوانية أطروحات إسلامية.

ومع ابتداع التفرقة بين الاجتهاد الفقهي والاجتهاد السياسي –والتي تبدو أنها المساحة الوحيدة التي يعمل فيها مفكرو الإخوان الجدد –فإنه يمكن تأويل المفاهيم الإسلامية أو إبطالها تذرعاً بالحفاظ على التنظيم وأولوية إقامة دولة الإخوان لا دولة الإسلام، على حد قول بعض زعماء الجماعة المتأخرين في اجتهادٍ جديدٍ يجعل من بلوغ دعاة تطبيق الحكم

الإسلامي إلى السلطة بديلاً عن تطبيق الحكم الإسلامي نفسه والذي يمكن التضحية به لتحقيق ذلك.

فضلاً عن قدرة الإخوان الفريدة على امتصاص الغضب في الشارع الإسلامي، ولا ينافس الإخوان في ذلك سوى بعض التيارات الأكثر اعتدالاً -تطويعاً للإسلام -التي تطورت عن الجماعة.

ولكن مشكلة نموذج هذه التيارات في مصر انقطاع روابطه بالجماهير الإسلامية العريضة المتجذرة في الأصولية التي لم يستهدف إرضاءها استناداً إلى اعتقادها بأن خيوط اللعبة السياسية تأتي دائماً من أعلى دون اعتبار لأي عامل آخر متأثرة في ذلك ببعض التجارب المرحلية.

فالحاصل من كل ما سبق أن الخيار الإخواني قد يكون هو الخيار الأنسب بالنسبة للأمريكيين مقارنة ببعض الأنظمة العربية الراهنة، وأن تصاعد غضب هذه الأنظمة على الجماعة هو ما يعبر عما يعتريها من مخاوف تجاهها).

انتهى الجزء المنقول من دراسة (محمد إبراهيم مبروك) ولا تعليق أكثر مما قلت من قبل، باستثناء تعليق واحد وهو: إذا كانت جماعة الإخوان تتأول عملها لمصلحة الأنظمة ضد جماعات الجهاد في السابق لأن الأنظمة في نظرها مسلمة وشرعية! فما هو تأويلها في أن تعمل لمصلحة أمريكا؟!

وبعد...

فهذه جماعة إسلامية ترفع شعار (الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا) وكل خطواتها بالشرع الحنيف! ألم تر أخي الكريم: (القرآن دستورنا)!

المحور الرابع؛ "الجماعة الإسلامية":

أعلنت صحف النظام عن الإفراج عن مجموعة من كبار قادة تلك الجماعة وجمع من الشباب المنتمي لها، وإن كانت المحصِّلةُ مازالت ضعيفةً بالنسبة للأعداد الكبيرة التي مازالت بداخل السجون.

وبدايةً؛ نحن لا نعترض على الإفراج عن شباب هذه الجماعة وقياداتها التي تعرضت لبلاء عظيم على مدار أكثرَ من خمسة عشر عاماً، بل بالعكس نفرح للفرج الذي يحل بهذا الشباب الطاهر مادام لم يكن ذلك على حساب إخوان لهم.

كما نعتذر لأي تصريح صدر من داخل السجن على أنه رخصة وهو إن كان أقل من العزيمة إلا أنه مادام الشرع أجاز ذلك رحمة بنا فلا نستطيع الاعتراض، بشرط ألا يحدث تجاوز في ذلك التصريح، فالتصريح الذي لا يُطلب من المكره لا يدخل في الرخصة، والتصريح الذي يسبب إيذاءً مباشراً لمسلم أو مجاهد لا يدخل في الرخصة.

القصد: هناك ضوابطُ، والقيادات لم تلتزم بهذه الضوابط، وهناك احتمال راجح أنها أصبحت على قناعةٍ حقيقيةٍ بما تصرح به، وتفاصيل وأسباب ذلك ستخرجنا عن الموضوع، أسأل الله أن يهدي ضال هذه الجماعة ويصلح أحوالهم.

خطوة الإفراج بأعدادٍ كبيرةٍ نوعاً ما وما اشتملت عليه من قياداتٍ منها أميرُ الجماعة الحالي "كرم زهدي" فَاجَأَتْ المراقبين، خاصةً أن النظام يريد الإفراج عنهم منذ مدة إلا أنه يخرجهم على دفعات صغيرة حتى يتمكن من متابعة من خَرَجَ منهم والتأكد من عدم تفكيرهم في ممارسةِ نشاطٍ لا يريده، إلا أنه يبدو أن النظام يريد الإسراع باستخدام الجماعة كأحد البدائل خاصة أنه يريد استبعاد الإخوان، ويريد تياراً جديداً خاماً لم يتمرّس كالإخوان في الاستفادة من مثل تلك الممارسات، كما أنه يضمن أن أمريكا لا يمكن أن تستخدمه كبديل للنظام لاعتبارات عدة منها: تاريخها مع أمير الجماعة السابق الشيخ الأسير عمر عبد الرحمن حفظه الله وفك أسره، ومنها تاريخ الجماعة القريب نفسه فأمريكا لن تخاطر مع هذه الجماعة.

بقيت رؤية الجماعة... وباختصارٍ: الجماعةُ كما يظهر من حالها الآن اختارت طريقة الإخوان للخروج من محنتها، مع أنه كان أمامها بدائل شرعية كثيرة تتفاوت نتيجتها ولا مجال لمناقشة ذلك الآن.

في ختام الحديث عن مصر؛ أُعيد التذكير بأن على الإخوة قراءة أساليب النظام المصري جيداً فهي تُصَدّرُ إلى دولٍ إسلاميةٍ مختلفة، حتى أنه أحياناً عندما يحدث تصرفٌ من نظامٍ من أنظمة الردة يعجز البعض عن تفسيره فإذا قارنه بما قام به هذا النظام المصري الخبيث في واقعةٍ مشابهة سَهُلَ عليه تفسير الغرض من التصرف.

تركيا
حزب أردوغان الإسلامي

لن نتحدث عن مواقف تركيا في بداية الحرب على العراق فالحق أنها من أفعال الجيش وأردوغان غير مسئول عنها، ولكن تنقل لنا الصحف الآن والإذاعات أخباراً متواترة عن اعتراضات نواب البرلمان على إرسال قوات إلى العراق، فنجد أن الذي ضغط على نواب البرلمان المعترضين ليوافقوا هو أردوغان نفسه قائلا لهم: إن إرسال القوات التي طلبتها أمريكا فيه مصالح لتركيا!

ويلاحظ أن الجماعات التي ترفع شعار تطبيق قواعد المصالح والمفاسد وتستخدم هذه القواعد بصورة بدعية فَتُعَطِّلُ فرضَ عينٍ أو ترتكبُ محرماً من أجل مصلحةٍ موهومةٍ أو غير معتبرة ونحو ذلك كانت أرحم، فزعيم الحزب الإسلامي التركي يرتكب الكفر الصراح من أجل المصلحة وكيف لا يفعل ذلك وهو مطمئن البال فهناك شعار (الإسلامي) يزين واجهة حزبه، وهناك من الشباب البلهاء أو الذين يصطنعون البلاهة لغرضٍ في نفوسهم مَنْ إنْ لم يسيروا خلفه فإنهم يقولون: لكل زعيمٍ إسلامي اجتهادُه، وأردوغان هذا والقرضاوي وزعماء الإخوان دخلوا السجون من أجل الفكرة الإسلامية وهم مجتهدون لهم أجرٌ واحد عند الخطأ!

ألا لعنة الله على المجرمين...

العراق
الإخوان المسلمون في مجلس الحكم الأمريكي!

قد يقول قائل لقد قرأنا عناوين الصحف، إنه الحزب الإسلامي وليس الإخوان! والحق أنّ مَنْ يدخل إلى التفاصيل يجد أن الحزب هو جبهةٌ من قيادات إسلامية وهم صنفين: قياداتٌ لها وزن وأتباع "شباب إسلامي!" في الساحة العراقية، وقياداتٌ ليس لها وزن في الساحة العراقية.

أما القيادات التي لها وزن فهي قسمان: قياداتٌ إخوانية تتبع التنظيم الدولي للإخوان، أو قيادات كانت إخوانية وخلعت الولاء للتنظيم الدولي وإن كانت تحمل المنهج، ومن يشاهد حوارات هؤلاء في قناة الجزيرة يتلمس أن تركهم التنظيم الدولي خدعةٌ سياسية – في نظري –

القصدُ: خرج علينا الهضيبي بوجهه "الكالح" في قناة الجزيرة بصفته المرشد العام للإخوان المسلمين وسأله المذيع: ما هذا الحضور المكثف للإخوان في مجلس الحكم الانتقالي؟! وهل يتناسب هذا مع شعاراتِ رفضِ الاحتلال التي يرفعها الإخوان المسلمون؟!

فقال الهضيبي: إنهم قيادتان فقط! والباقي غير محسوبين على الإخوان المسلمين! المهم حاول المذيع أن يأخذ من الهضيبي تصريحاً بإدانة المجلس فلم يستطع، فالهضيبي ماسك

العصا من المنتصف –يرقص بها رقصاً قبيحاً –ويقول: نحن لا نبارك هذه الخطوة، فيطلب منه المذيع أن يدينها فيرفض الهضيبي، فقال المذيع: هل ستطالبهما بالانسحاب من المجلس؟ فيرد بالنص: (أنا لا أطالب بشيء الآن، الآن هم يُتركون لكي يأخذوا فرصتهم، ويشوفوا إيه الأوضاع...)، ولكنه رغم كل ذلك لم ينس رفع الشعار والمبدأ الذي يسير خلفه البلهاء، فقال خاتماً كلامه: (من ناحية المبدأ نحن لا نقبل التعاون مع المحتل).

تشعر من خلال الحوار أن مذيع الجزيرة يريد أن يتقيأ حتى أنه قال للهضيبي: (يعني هذا الموقف يا سيادة المستشار حتى أقل من موقف الأزهر الشريف، الذي تعتبرونه أو يعتبره بعضكم موالياً للدولة أو مؤسسةً تأتمر بأمر الدولة، هناك فتوى من الأزهر الشريف تُحرم التعاون مع المجلس الانتقالي لأنه شُكِّل بموافقة قوات الاحتلال، يعني خُلِق ليكون موالياً لأعداء الله وأنت لا تريد أن تدين الدكتور محسن أو السيد بهاء الدين؟! الذين انضموا إلى المجلس رغم أنك تعلم أنهم لا يستطيعون أن يُبرموا شيئاً إلا بأمرٍ من حاكم العراق الأمريكي؟!) الأخطر من كل هذا كلام الهضيبي عن المقاومة العراقية، فلا تدري هل هو يؤيدها أم لا؟

<u>اقرأ معي أخي الكريم هذا المقطع من الحوار الذي يصيب بالقرف:</u>

– حسين عبد الغني –مقاطعاً –: (أنا كنت مع أحد الزعماء السنة في العراق وقال لي إن الإخوان المسلمون انضموا إلى هذا فقسموا معسكر السنُّة المقاوِم، هناك من يقاوم بالسلاح وبروحه الاحتلال، ويجد أن الإخوان المسلمين موجودون في المجلس).

– مأمون الهضيبي: (حضرتك بتقول إنك رحت هناك).

– حسين عبد الغني: (لا، بل رأيت أحداً في مقابلة).

– مأمون الهضيبي: (أو رأيت أحداً، أنا لا رأيت حد ولا رحت، أنا لا أستطيع أن أدافع ولا أستطيع أن أعرض حقائق الأمور هناك، ومن الصعب ومن غير المقبول ومن الظلم وأظلم نفسي إن تدخلت في أمور العراق التطبيقية والمتفرعة والأوضاع وأنا بعيد عنها وليس عندي من المعلومات ما يمكنني من أن أعرف حقيقتها، النهارده بيقال فيه مقاومة، ما هي حقيقة المقاومة؟ من الذي يقوم بها؟ هل هم أنصار صدام؟ هل هم أنصار السنة؟ هل من الشيعة؟ هل... من... هذا...).

– حسين عبد الغني –مقاطعاً –: (المطلوب يا سيدي... هل أنت مع المقاومة أم لا؟).

– مأمون الهضيبي: (هذه العمليات اللي بتحصل لحساب من؟ ومقصود منها إيه؟ والدليل على...).

– حسين عبد الغني: (لحساب تحرير العراق).

– مأمون الهضيبي: (الله أعلم).

– حسين عبد الغني: (إذن لماذا تدعو إلى المقاومة؟).

– مأمون الهضيبي: (أنا لا أدعو).

– حسين عبد الغني: (أنا قرأت بياناتك، ولاحظت أنك تدعو إلى المقاومة، إذا لم تكن مؤمناً بحق العراقيين في مقاومة المحتل).

– مأمون الهضيبي: (دا أنا أؤمن بحق العراقيين قوي بالمقاومة وبكل شيء وأن من واجبهم –مش من حقهم –من واجبهم المقاومة، ومن واجب كل الشعب العراقي أن يقاوم بالشعب الذي انضم إليهم غيرهم إذا أمكن من الشعوب العربية والإسلامية، هذا إيمان لا يتزحزح إن شاء الله، ولكن في تطبيق).

– حسين عبد الغني –مقاطعاً –: (إذا كان الهدف هو تحرير العراق فمن يهمني من يقوم به؟ لا يهمني: أنصار صدام، أعداء صدام).

– مأمون الهضيبي: (لأ، يهمني إني أعرف إن هم بيعملوا لغرض إيه وإيه).

– حسين عبد الغني: (هم سُنة العراق).

– مأمون الهضيبي: (ومن هم وراءهم؟ ومين عاوزين يعملوا إيه يحققوا إيه، دي مسائل كلها لازم يعني الواحد يبقى على بينة منها) ا.هـ انتهى المقطع!

ملاحظة هامة: هذه الحركة "الإخوان" تَنْظُر لها جميع الحركات الإسلامية التي دخلت المعترك السياسي مؤخراً بكل ثقلها على أنها القدوة في السياسة الشرعية –على قدر فهمهم للشرع –معرضين عن منهج خير البرية والسياسة الشرعية المنضبطة...

ألا ما أعظم رجال الجهاد والسلفية الحقيقية.

الجزائر
أرض العسكر والنحانحة

عندما تستمع من أهل الجزائر من العامة أو من الملتزمين تهولك أحوال هذا البلد المنكوب الذي تسلطت عليه طغمة من العسكر، هذا البلد يتعرض للنهب والقمع والإفساد من حفنة من الجنرالات الاستئصاليين لا يشك عاقل أنه لا يضع يده في أيديهم إلا رجل يريد أن يسلم البلاد رخيصة إلى هؤلاء الجنرالات، ورغم تبعية الجنرالات بحكم التاريخ الحديث وبحكم العوامل الجغرافية لفرنسا إلا أن أمريكا لفت نظرها وجود رجال للجهاد في هذا البلد تراكمت لديهم خبرات حوالي ثلاثين عاماً من الجهاد والقتال منذ حركة "مصطفى بو يعلى" رحمه الله... وحتى الآن، أضف إلى ذلك الاستفادة من خبرات القاعدة بحكم التواصل السابق بأفغانستان وسهولة الاتصالات المعاصرة، لذلك ما كانت أمريكا ليفوتها الاهتمام بهذا البلد والعمل على دعم الطغمة الحاكمة فيه والتآمر معها على الجهاد وأهله، وأخبار الشهور الأخيرة في هذا السياق كالتالي:

(قال مسئول أمريكي بارز في وزارة الخارجية يوم الاثنين: "إن الحكومة الأمريكية وافقت على بيع أسلحة للجزائر لمساعدة الحكومة الجزائرية على محاربة المتشددين الإسلاميين، في بادرة هي الأولى من نوعها". وقال وليام بيرنز مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى: "نحن بصدد وضع اللمسات الأخيرة على اتفاق لبيع الجزائر معدات عسكرية لمحاربة الإرهاب". إلا أن بيرنز لم يحدد في ختام زيارته القصيرة للعاصمة الجزائرية نوع الأسلحة التي تسمح واشنطن ببيعها للجزائر، لكنه أشار إلى أن حكومة بلاده تعكف على صياغة اقتراح للكونجرس بزيادة المساعدات العسكرية المقدمة للجزائر. وقال في مؤتمر صحفي: "إن هذه الخطوات تهدف إلى تكثيف التعاون الأمني بين البلدين، وستتعلم واشنطن الكثير من الجزائر فيما يتعلق بمحاربة الإرهاب". وفي سياق آخر قالت وزارة الخارجية الأمريكية في تقريرها السنوي حول الإرهاب والذي يطلق عليه أنماط الإرهاب العالمي: "إن الرئيس بوتفليقة الذي قابل الرئيس بوش مرتين في عام 2001 تعهد بصورة علنية بالتعاون الكامل لحكومته مع حملة التحالف الدولي ضد الإرهاب، وكجزء من هذا التعاون عززت الحكومة الجزائرية المشاركة في المعلومات مع الولايات المتحدة، وعملت بنشاط مع حكومات أوروبية وأخرى للقضاء على شبكات دعم الإرهابيين المرتبطة بمجموعات جزائرية تعمل معظمها في أوروبا").

عندما تكلم اثنان من كبار علماء ومنظري "القاعدة" عن ظاهرة النحانحة، فذلك لم يكن مزاحاً أو سخرية، وإنما كان تنبيهاً على ظاهرة منتشرة في كل بقعة من بقاع عالمنا الإسلامي، قادةٌ يرفعون شعاراتٍ جوفاء ويجتذبون حولهم جمعاً من الأغرار وفي الحقيقة ما هم إلا خنجر في ظهر الحركة الإسلامية، هذا المجرم الهالك "نحناح" وصل به الحال ليمكن لنفسه على حساب إخوانه أن يدافع عن مبدأ "فصل الدين عن الدولة"، حتى أن جمال سلطان نفسه الذي تحدثنا عنه في الجزء الخاص بمصر قال عنه: إن هذا الرجل يردد ما يردده فرج فودة – أعدى أعداء الإسلاميين في مصر آنذاك وقبل مقتله – وغُلاة العلمانيين عن الحركات الإسلامية في الجزائر!

لا تنسَ أخي الكريم أن هذا الرجل "نحناح" كان الضيف الدائم على مجلتي "الدعوة" و "الاعتصام" المصريتين بصفته الممثل الوحيد للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين بالجزائر!

ورغم هلاك هذا الرجل فحزبه مازال قائماً على نفس السياسة ومازال يناصره بعض من أعمى الله بصيرته من الشباب.

عباس مدني ومصيدة العسكر:

قلنا في الجزء الأول من هذه الدراسة: إن بعض قادة الحركات الإسلامية تشارك "بقصد" أو "بدون قصد" في دعم الخطة المبرمة بين الأمريكان والطواغيت، وإذا وجدت لنا شدة في اللفظ على بعض من ذكرنا فذلك للتنبيه عن عظم خطورة الدخول في ذلك الحلف الشيطاني بغض النظر عن "قصد" أو "عدم قصد" أو "مدى تأويل" من دخل في تلك الخطة، وإلا فإن كان المطلوب منا أن نرقق العبارة مع هؤلاء القادة وتلك الحركات فإن ذلك يؤدي إلى توهين تلك المخالفات الكفرية – والتي بعضها كفر حال وبعضها كفر مآل – أمام الشباب من أتباع تلك الحركات مما سيؤدي إلى انزلاق البعض فيها بسهولة، وهدي القرآن وسيرة السلف في مواقف مشابهة أمرنا بعدم التراخي أمام تلك المخالفات والشدة في الإنكار مهما كان شخصُ أو عددُ الوالغين فيها.

خرج عباس مدني من إقامته الجبرية وخرج علي بلحاج من سجنه، وبينما علي بلحاج مازال غامضاً، فإن عباس مدني قد أعلن عن مشروعه بعد السجن، فما هو ذلك المشروع وما هي ظروف إعلانه؟

فوجئ المتابعون بعباس مدني في رحلة للعلاج بماليزيا وافق عليها الأخ "الرحيم" بوتفليقة، وكما يقول خبراء الحركة الإسلامية الأب فإن بوتفليقة سمح بخروج عباس مدني رغماً عن العسكر والجنرالات!

وفوجئ المتابعون كذلك بالأخبار الآتية من الصحف وكذلك بقناة الجزيرة تعرض أخباراً وحوارا مع عباس مدني... تابع معي أخي القارئ هذه المقتطفات:

وجاء تأكيد عباسي مدني من ماليزيا في حديثٍ لقناة الجزيرة القطرية وهو الأول بعد حبسه 12 سنة كاملة، بأن وراءه مبادرة سياسية هامة تهدف إلى توقيف العنف في الجزائر سيعلن عن تفاصيلها لاحقاً[5]، وذهب إلى حد وصف الرئيس بوتفليقة بـ "أخي الرئيس"! لتوحي بأن تلك المبادرة تم التحضير لها مسبقاً قبل خروج عباسي من الجزائر، وتبع ذلك تأكيد عبد العزيز بلخادم وزير الخارجية الجزائري في تعليقٍ حول مبادرة عباسي بأن الجزائر ترحب بأي مبادرة تساهم في إنهاء أزمة الجزائر...

وماذا كانت خلاصة مبادرته بالجزيرة؟ وما مشروعه كقائد حركة إسلامية كبرى؟: (... الشعب الجزائري شعبٌ عظيم، شعب المبادئ، شعب التضحية، شعب الصبر والمعاناة، ولذلك فأعتقد أن بالنسبة إلى أوروبا لا... لا نتوقع منها إلا خيراً... إلا مساعدةً، ولن تجد منا إلا ما يكون في صالح مصالحها المشروعة، لا هي ولا غيرها، كل البلدان المستثمرة في الجزائر ستجد نفسها أنها قد أَمَّنت مصالحها بعودة الجزائر إلى السلم وعودة الجزائر إلى مشروعها المعماري ومشروعها الاقتصادي والسياسي والحضاري...)! (مؤسسات!) ثم أخذت حوارات عباس مدني وبياناته المنشورة بالجزيرة تأخذ منحى مبهماً وأنه يتحدث من ماليزيا وكيف أن هناك تشابهاً بين الشعب الجزائري والشعب الماليزي! وأنه يمكن أن يُتخذ ذلك نموذجاً للنهضة الجزائرية لمدة عشر سنوات وستصبح الجزائر بعد عشر سنوات كما هي ماليزيا اليوم!

مشروع العشر سنوات لعباس مدني هو نفس المشروع العالمي للسلفية الإصلاحية "مشروع المؤسسات"، أي: مؤسسات علمية واقتصادية ومعمارية! ... إلخ.

إلا أن مشروع "مدني" بدون المحسنات اللفظية الشرعية التي يستخدمها الاتجاه العالمي في الجزيرة ومصر وباقي الأقطار المتواجد فيها هذا التيار.

[5] – أعلن عباس مدني عن تفاصيل هذه الخطة في وقتٍ لاحقٍ ونشرت في موقع (الإسلام اليوم) ولم تخرج خطته عن إطار هذه الصفقة الخيانية.

وحتى لا يقال عنا أننا نردد اسطوانة العواطف والعاطفيين فلن نقول: أين المطالبة بشرع الله وأين المطالبة بالقصاص وحقوق المظلومين، بل فقط سنسأل ما معنى هذا الكلام، هذا لو تحقق فعلا! وهيهات، وفي مصلحة من سيصب؟ ومن الذي سيجني ثمرته ويتخلص من المركوب؟!

هذه المصالح الدنيوية التي يَعِدُكُمْ بها الطواغيت والكفار من النصارى والتي يُضَحَّى من أجلها بمصلحة الدين وبالجهاد وبدماء خير خلق الله ما هي إلا غرور، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن الكلام العجيب من عباس مدني ووضع علي بلحاج الحالي وما يقال عنه أنه سينحى منحى عباس مدني أو سيصمت أو سيعتقل مرة أخرى: إنما يعكس أزمة خروج بعض قيادات ورموز العمل الإسلامي في السابق من السجون بشروط أو تحت ضغوط وقيامهم بوضع الأمة معهم تحت نفس الشروط أو الضغوط، وهم بهذا الفعل يظلمون أنفسهم وتاريخهم ويظلمون الأمة معهم.

سنجد في نهاية هذه الدراسة كلمة إلى بعض قادة الحركات الإسلامية الذين خرجوا من السجون فوجدوا الفضل الإلهي قد نزل على غيرهم، فوسوس لهم الشيطان أن مفاتيح الحل مازالت في أيديهم وأن لهم دوراً منتظراً فأخذوا يتدخلون مستخدمين أسمائهم وتاريخ سجنهم في شئون واقع مختلفٍ تمام الاختلاف عن واقع اليوم الذي غُيِّبوا فيه خلف أسوار السجون، وبدلاً من أن يدخلوا تحت راية الذي نَزَلَ عليه الفضل الإلهي أو على الأقل يفسحوا الطريق له ليكمل مسيرة الرجال: راحوا يزاحمونه الطريق بفقه الهزيمة الذي تعلموه داخل أسوار السجن، ولكم رأينا من هؤلاء الكثيرين ممن لم يعتبر بما شاهده في السجن من تجبر الطغاة و إصرارهم على فرض كفرهم وشركهم بالقوة، فبدلاً من أن يخرج ويُحَدّثَ الناس بهذه الخبرة – والتي تعتبر برهاناً له على صدق آيات الكتاب التي حدثتنا عن نفسية أهل الكفر والنفاق – راح يُرَوّجُ لمشروعِ المصالحةِ الذي أخرجَهُ من السجن على أنه السبيل، فهو استحى أن يقول: إنه تنازل، أو بدّلَ قهرُ السجونِ من فطرته.

أُنهي الجزء الخاص بالجزائر؛ بتحذير الشيخ علي بلحاج من أن يُستدرج لنفس الدور الذي يمارسه الشيخ عباس مدني، ونُذَكّر الاثنين بأن الجهاد مازال قائماً بالجزائر، وأنه مهما مرت به من أزمات فلهم مثال بالجهاد الأفغاني في بداياته في السبعينات عندما واجه الجهاد هناك مشاكل عدة منها مقتل القادة الذين بدؤوه وبقاء قلة تحاول أن تعيد الكرة، وظهورُ مَنْ حاول التصالح وترك الميدان واللجوء للحلول السياسية، بل لقد حدث ما هو أسوأ وهو

دخول روسيا بجيوشها إلا أن الله جعل من ذلك الحدث استفاقةً لجميع فئات الشعب الأفغاني.

ونذكرهما بأن من عنده استعداد للتنازل ووضع يده في يد الأعداء يلازمه هذا الأمر إن لم يتب ويعزم على عدم الرجوع إليه معتبراً إياه رجساً من عمل الشيطان ينبغي له التوبة والتطهر منه، وهذا "رباني" كان من الفريق الذي طالب بالحلول السياسية في السبعينات وتم الضغط عليه وجاهد مع من جاهد فلينظروا إلى منتهاه الآن وماذا فعل أعداء الله به!

ونذكرهما بأن مسيرة الجهاد مسيرةٌ طويلة وليست كما يشيع المخذّلون عنها أنها مسيرة المتعجلين، بل هي عبادة العمر كله دون كللٍ أو ملل، وهي عبادة الأولياء حقاً، لا نستوحش فيها بقلة السالكين ولا كثرة الهالكين، إن الجهاد الأفغاني استمر سنوات في مواجهة الطغمة الحاكمة ثم سنواتٍ أخرى في مواجهة روسيا والطغمة الحاكمة، وقدم خلال هذه المسيرة الشريفة مليون ونصف مليون شهيد منهم 90 % من الشباب والقيادات التي بدأت الجهاد، ومكن الله لمن تبقى منهم، ثم حدثت بعد ذلك الفتنة بين الطوائف هناك ثم تكونت حركة طالبان ونزل عليهم الفضل الإلهي، وهكذا هي مسيرة الجهاد في كل زمان، لم تتخلف حركتها إلا في أذهان البعض الذين دجّنهم الأعداء.

وهكذا مسيرة الجهاد مستمرة، وهي التي سيتخرج منها الجيل القادر على حمل أمانة تبليغ هذا الدين للعالم أجمع، جيلٌ لا ينظر لمصالح دنيوية، جيلٌ يقدم دين الله والمبادئ والقيم على كل ما سواها... وأنتم مازلتم بعد في بداية الطريق، وشعبكم لم يقدم عُشر ذلك العدد من الشهداء بعد، فالله الله في دينكم وفي دماء شهدائكم التي لم تجف بعد، واعلموا أن هذا الدين سينتصر بكم أو بغيركم، {وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم}.

الجزيرة العربية

(قِسْمٌ انتكس والتحق بالدولة ووالاها ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقِسْمٌ بدا له أنه لن يستطيع أن يستمر في الدعوة والتدريس ويؤمّنَ معهده أو جمعيته أو جماعته أو يؤمن نفسه وجاهه وماله مالم يمدح الطاغوت ويداهنه، فتأول تأولاً فاسداً باطلاً فضلّ ضلالاً مبيناً وأضلّ خلقاً كثيراً...).

كفانا الشيخ أسامة حفظه الله توصيف الأحوال في الجزيرة بجملٍ بليغة موجزة.

لا أحد يغفلُ عن دور الاتجاه الرسمي فيما وصل إليه الحال في الجزيرة، كذلك دور الفرقة الجامية، وكذلك دور "محسن العواجي" الوسيط بين المشايخ والداخلية، وعلماء التوحيد والجهاد والشباب هناك أدرى بعددِ من قفز إلى معسكره من المشايخ.

وقبل أن نأتي بالجديد الذي أعتقد أنه يكشف الدور الذي يصب في مصلحة الأمريكان أُحِبُّ أن أبين أن القضية في هذا البلد محسومةٌ لا يغفل عنها إلا من طمس الله على بصيرته، فإنه إذا خرجت طائرات ومدمرات النصارى من مطارات وموانئ هذا البلد لتقتل المسلمين في أفغانستان والعراق وتهدد المجاهدين والمسلمين في كل مكان ثم يطلق على هذه الدولة دولة إسلامية فلا أملك إلا أن أردد مع الشهيد – بإذن الله – محمد بن شظاف الشهري قوله بنفس نبرته الحاسمة: (كذبٌ وافتراء ودجلٌ وكفرٌ صريحٌ بما أُنْزِلَ على محمدٍ صلى الله عليه وسلم)، وصدق والله، فإن نسبة هذه الدولة بعد ذلك إلى الإسلام، وتسمية الكفر الصريح إسلاماً هو كفرٌ بالله العظيم، بل لا يستحي البعض من القول بأنها دولة إسلامية سلفية، ويشترك جميع المخلفين هناك بكل طوائفهم بالقول أنه لو كان السلف بيننا لأفتوا بهذا، ووالله إن قولهم هذا فيه من الإزراء بالسلف والأمة ما فيه، وإلا فأي أمة هذه التي يكون خيارها أمثال هؤلاء؟

حتى إن أحد الأخوة الأفاضل قال بعفوية –ولكم كان صادقاً –: (لو تأملنا الفتاوى الرسمية وفتاوى موقع "الإسلام اليوم" لوجدناها تخلص إلى تلك النتيجة الرهيبة: هذه الفتاوى تخاطب الأمريكي وتقول:

– إن أردت أن تذبح أمة الإسلام –ودع أي شخص فيها يتجرأ عليك أو يرفع وجهه في وجهك –فافعل ما يشير إليه مشايخ الإسلام الجهابذة.

– كيف؟

قلت لي كيف؟! انظر يا علج: ما عليك غير فعل الآتي – واطمئن ما يأتيك شر من هؤلاء الإرهابيين المجرمين –:

1) البس ثياباً مدنية –حتى ولو كنتَ أكبرَ قائدٍ عسكري في قوات التحالف – ونضمن لك أن نمسح بهم الأرض إن اقتربوا منك، فالجماعة أصبح عندهم شيءٌ اسمه مدني وعسكري، وطبعاً هذه نعمة من الله عليك، ما كنت تحلم بها لو كنت في عصر الصحابة الأسود الذين أذاقوا أسلافك الويل...

2) أحضر بعض الأشخاص من المسلمين –همهم كروشهم وبضعة دولارات – ودعهم يحرسون ثكناتك... فلن يتجرأ –بعد هذا –ابن أمه على الاقتراب منك، "هذا مسلم تريدون قتل المسلمين؟!"، وافعل ما شئت بعدها: اقتل واذبح واجمع المعلومات، واقلب المجمعات بيوت دعارة وحانات سُكْر، ووفّر الدعم العسكري واللوجستي لقواتك الغازية في أفغانستان والعراق، والمسألة لا تكلفك شيئاً، فقط قليل من الدولارات، أو أقول لك: حتى هذه الأخيرة لست بحاجتها مادام ولي الأمر يحميك ويدفع أي مصاريف فوق البيعة.

3) وأحضر عدة أشخاص أسماؤهم (محمد وعبد الله) اسماً لا مضموناً، ودعهم يقيمون معك –استعملهم كخدم –المهم أن تؤدي مهمتك وأنت بأمان.

4) ولا مانع من أن تضع ثكنتك وسط المدينة وحولها فللٌ للمسلمين، ودع ابن أبيه يفكر بعمل شيء لهم، "تهديد وترويع للآمنين"!

وهناك أمرٌ آخر: قبل أن تحتل أي بلدٍ مسلم، اتفق مع بعض السكارى والخمرجية لكي يصيروا ولاةَ أمرٍ في ذلك القطر الإسلامي، وحسناً فعلتم مع كرزاي في أفغانستان وما تفعلونه حالياً بالعراق، فمتى أصبح ولي خمر –أقصد أمر –تصبحون أنتم في عهده وأمانه!

طبعاً المسألة تحتاج بعض التمويه، فنحن وأنتم نعلم من هو ولي الأمر الحقيقي ولكننا نريد ألا يجد المجرمون في تنظيم "القاعدة" حجةً علينا!

الآن تستطيع أن تذبح وتدمر وتسرق، وتفعل أي شيءٍ شرير يدور بخلدك وأنت مرتاح تمام الارتياح، وتضمن أيضاً أنك تسير وفق قواعد الشريعة الإسلامية الغراء!).

انتهى كلام الأخ الفاضل بتصرف، وقد افتتح الأخ كلامه بأن ذلك هو: "ذبح المسلمين طبقاً للشريعة الإسلامية".

القصد: سننقل هنا تصريح تيار السلفية الإصلاحية –وهو التيار الذي إذا دخل في هذه الصفقة[6] فقد تتحقق من خلاله النسبة الأكبر من الأهداف الأمريكية في الجزيرة، أبطل الله كيدهم –

نقلنا فيما سبق تصريحات من موقعي "العصر" و "الإسلام اليوم" تبين أن ذلك التيار دخل في هذه الخطة بقصد أو بدون قصد في أكثر من بلد، وهنا ننقل ما يخص الجزيرة من مقالٍ في موقع "العصر" بعنوان: "السعودية... الفرصة سانحة للتغيير" للكاتب محمد سليمان.

يقول: (في المقابل أدرك تيار الإصلاح طبيعة المرحلة الدقيقة الحالية وطوّر خطابه لينقله من حالة المطالب النظرية والانتقادات إلى حالة النقاش في السياسات والاستدراكات، وشكل مؤسسات إعلامية للتعبير عن مشروعه الإصلاحي واشترك مع رموز الحكم في نقد التطرف والتشدد ورفض العمل المسلح كوسيلة لإدارة الصراع الداخلي، فحدث نوعٌ من التقارب والحوار بين الحكم وبين هذا التيار والذي يمتلك مخرجاً مقبولاً من الأزمة الحالية في السعودية.

ويبدو واضحاً أن السلوك العاقل للحكم السعودي اليوم يتمثل بالتحالف والتساند مع تيار الإصلاح، فهذه هي الاستجابة المنطقية للحظة التاريخية الحرجة في المسيرة السعودية، وألا تكون العلاقة مع تيار الإصلاح ضمن الحدود المصلحية ولغايات استيعابية فقط، فالأمر يتعدى هذا المنحى إلى منحى وجود دواعٍ ضرورية للتغيير والإصلاح.

في المقابل فإن التحدي المطروح أمام تيار الإصلاح هو الاستفادة من هذه الحالة لتمرير مشروعه الإصلاحي وتطوير خطابه وبناء المؤسسات المدنية والأهلية التي تنقل الوضع السياسي في السعودية إلى الانفتاح والحرية والتعبير عن الذات.

وبعبارة أخرى: زرع مقدمات لتنمية سياسية حقيقية من خلال التركيز على مؤسسات المجتمع المدني الوعاء الذي يستوعب الطاقات الأهلية والمجتمعية. وعلى هذا التيار أن يكون حذراً في سلوكه وخطابه وأن يدرس خطواته جيدا فالمرحلة خطيرة وحرجة) اهـ

ولم ينس الكاتب السلفي الإصلاحي! أن يخاطب الأتباع البلهاء أو من ينتظرون حقنة المخدر، ويضيف قائلاً: إن هذا التحالف مع ولي الأمر في مواجهة الأمريكان!

---

[6] – وقد دخل فيها بالفعل.

والتيار المسمى بالتيار السلفي الإصلاحي في الجزيرة هو المرشح الأول للدخول في هذه الصفقة المبرمة بين الحركات الإسلامية وأمريكا عن طريق الأنظمة المرتدة لأمورٍ، منها:

أنه التيار الأكثر انتشاراً في صفوف الشباب من بين التيارات السلمية بسبب رفعه شعار السلفية واهتمامه بالعلم نسبياً، بالإضافة إلى استخدامه أساليبَ خطابٍ أكثرَ تأثيراً وإقناعاً من الخطاب الدعوي الرسمي مثلاً أو الخطاب الجامي.

وهذا التيار قريبٌ في طبيعته وواقعه في الجزيرة من واقعه في مصر التي تمّ الحديث عنها سابقاً إلا إن المرجح في النموذج السعودي أنّ المصالحة بينه وبين الحكومة تمّت في فترة سجن رموزه المؤثرين، وهذا أحد خيارات عرض الصفقة التي أشرت إليها في بداية البحث، حيث كان خروج سلمان العودة وسفر الحوالي وناصر العمر من السجن مفاجئاً وليس له مبرّرات ظاهرة للعيان، لكنّ الأمر اتضح بعد أن بدأت المصالحة تؤتي ثمارها وبدأت الاجتماعات التنسيقية بين بعض هؤلاء وبين محمد بن نايف وكيل وزارة الداخلية وابن وزيرها، وكانت في بدايتها استشارية توجيهية، ثمّ تطورت حتى وصلت إلى حد التنسيق الأمني بالبحث عن المطلوبين من المجاهدين والسعي في تسليمهم أنفسهم إلى الأجهزة الأمنية، ومن نماذج ذلك سعي سلمان العودة لتسليم الشيخ يوسف العييري رحمه الله، وتسليم سفر الحوالي لعلي الفقعسي، وأمّا ناصر العمر فكان أكثر حذراً وحساسية في الجانب الأمني، وإن كان قد انساق في نفس الدرب فكرياً.

قصة الصفقة فَسّرت توافق إطلاق هؤلاء الرموز مع توجّه متكرّر في أكثر من بلد حيث أفرج عن عددٍ كبير من الإسلاميين في الجزائر في نفس اليوم تلاه بعد فترة ليست بالبعيدة الإفراج عن علي بلحاج وعباس مدني ليعلن الأخير عن مشروعه الذي أشرت إليه سابقاً والذي يوافق تماماً ما أخذ هؤلاء الرموز يبشّرون به بعد خروجهم من السجن ويطرحونه بقوة ويدعون إليه تدريجياً مشعرين الشباب بأنّ هذا التوجّه هو حصيلة تجربتهم في السجن، وكان ناصر العمر مثلاً يصرّح بأن المشروع الذي يراه النافع للأمة والذي هو مهمته بعد خروجه من السجن هو مشروع (إنشاء المؤسسات) بنفس اللفظ الذي تكرر في أكثر من بلد، وعرضه أكثر من شيخ ويعني المؤسسات العلمية والدعوية والاقتصادية والاجتماعية... إلخ.

الشاهد أنّ هذا التيار رغم مواقفه التصادمية القوية السابقة من النظام الحاكم السعودي أصبح الآن – بجهد رموزه – مهيئاً لخدمة النظام السعودي والترقيع له في أسوأ زمانٍ مرّ عليه منذ إنشائه، وقد انقلب رموزه إلى غض الطرف عن كلّ جرائم هذا النظام وعدم الوقوف في وجهها، واقتصر نشاطهم على قطع الطريق على الحركة الجهادية ومحاولة

تشويهها، وتهدئة الأوضاع بالمواجهة الفكرية للطرح الجهادي عبر ذات المؤسسات التي سمح النظام بإنشائها كموقع الإسلام اليوم، وموقع المسلم، والحملة السلمية لمقاومة العدوان، وكلها كانت تحت نظر الحكومة السعودية، وتنوعت اهتماماتها حسب مشارب مؤسسيها.

فبينما اشتغل سلمان العودة بنشر فكره العصراني الجديد، حاول العمر التركيز على منهج كف اليد والحكمة والوسطية والتربية وما إلى ذلك، أما سفر الحوالي فقد وجد في متابعة الشباب المجاهد شغلاً عريضاً بعد أن ماتت حملته السلمية التي فضحها الشيخ يوسف العييري رحمه الله برسالته المشهورة التي جاء فيها:

(ولتعلم ضعف هذه الحملة وعجزها عن تحقيق أي شيء، فقد تم إنشاؤها باسم "حملة مكة لمكافحة العدوان" وتم حجز موقعها على الإنترنت بهذا الاسم "مكة" ولا زال كذلك، وقبل إعلان الحملة لابد وأن يستأذنوا الحكومة السعودية، ولكن الحكومة رفضت الإذن لإطلاق هذه الحملة حتى يتم حذف اسم مكة من اسم الحملة، وبما أنهم لا يملكون إلا السمع والطاعة فقد قبلوا ذلك وتم تغيير اسم الحملة إلى "الحملة العالمية لمقاومة العدوان" وبقي اسم الموقع "مكة" كما هو، ولديّ البيان التأسيسي عندما وزعوه لجمع التواقيع قبل تغيير الحكومة للاسم وكان باسم "حملة مكة..."، هذه القضية رغم صغر حجمها إلا أن لها دلالة كبيرة جداً، تفند زعمهم في البيان التأسيسي بأن الحملة "مستقلة"، فكيف تكون مستقلة ولم تستطع أن تستقل باختيار الاسم حتى فرضت الحكومة عليها الاسم الذي تريده؟! هل هذه الحادثة مقنعة بالإفلاس؟ وإذا لم تقنع فسوف نأتي بما يقنع.

أول ما تم الإعلان عن الحملة، قام بعض الإخوة والمشايخ حفظهم الله بإنكار هذه الحملة، علماً أنها لم تصدر شيئاً بعد، ولكنهم عندما عرفوا المؤسسين عرفوا أنهم لا يمكن أن يأتوا بخير، ويكفي منهم الناطق الرسمي محسن (وإذا كان الغراب دليل قوم... يمر بهم على جيف الكلاب)، فمن عرف المؤسسين علم أن الحملة ستكون مهداً لتمييع الدين ورفض الجهاد واختلاط الحابل بالنابل، وهذا الحكم لم يأت عن تخرص، ولا عن فراسة مطلقة، بل جاء بناء على استقراء لما يكتبه سلمان ومحسن وسفر وبقية المؤسسين في الأيام الأخيرة، وما وقعوا عليه من بيانات جماعية كان من آخرها بيان المثقفين الممسوخ وبيان الجبهة الداخلية الجاهل، وعلى المرء أن يتساءل، هل يمكن أن يخرج من أصحاب بيان المثقفين وبيان الجبهة الداخلية وغيرها من البيانات المائعة شيء يفيد؟ فلن يكون جوابه إلا بالنفي، ولأجل هذا أنكر الأخوة والمشايخ هذه الحملة قبل أن تصدر شيئاً، لأنها لن تخرج عن الإطار العام للتوجه الجديد المائع.

واشتد الحديث عن محاربة الحملة الجديدة للجهاد، قياساً على ما تقدم، إلا أن المؤسسين قرروا نفي هذه التهمة، فأخرجوا ما ينفي ذلك بشكل غير مباشر، وبما أن القضية قضية شعارات لا مضمون لها ولا يدعمها منهج فلا مانع من قول أي شيء، فالكلام ليس عليه رسوم، فالمقصد كسب الجمهور لا كسب موافقة الدليل، وسأدلل على ذلك في هذا المقال، وأول الوقفات ستكون مع أول إصدارات الأمين العام للحملة "سفر بن عبد الرحمن الحوالي".

أخرج الأمين العام للحملة سفر الحوالي مقالاً في موقع الحملة ليكسب به الجمهور، وكان عنوان المقال: (أول الغيث قطر) وجاء في هذا المقال عندما تحدث عن الحملة فقال: "انطلقت هذه الحملة المباركة –بإذن الله –لتكون سنداً للمرابطين على الثغور وتذكيراً لسائر الأمة بما يجب عليهم من النصر في الدين".

وكما قلنا لكم بما أن القضية قضية شعارات فبإمكان كل الناس أن يصفصف أكثر من هذا الكلام، ولكن إن جاء العمل رأيت الخلل، طبعاً نحن على قناعة أن الأمين العام وثلة من الموقعين معه ما هم إلا حرب على أهل الثغور، والدليل على ذلك بياناتهم وعليكم ببيان الأمين العام؛ "بيان للأمة"، الذي أصدره عقب ضربات سبتمبر، فقد حشاه بكم هائل من التهم والتحقير لأهل الثغور، الذين تجمع الأمة كلها على أن منهم الطائفة المنصورة، لأنه عندما طعن في أهل الثغور، طعن في أهل الثغور جميعاً على جميع الجبهات سوى فلسطين ربما لأسباب حزبية كما يعلم الجميع.

ومع أول اختبار لسفر للتأكد من مصداقية هذه الدعوى وأنهم سند لأهل الثغور، سقط سفر في أول ست دقائق بالضربة القاضية أمام خصمه الدليل الشرعي، في مقابلة له مع إذاعة لندن القسم العربي، وست دقائق فقط حشاها سفر بالمتناقضات وبالأخطاء الشرعية وسوف أتعرض لشيء منها، ولكن ما يهمني الآن من مقابلة لندن معه وهي منشورة في موقع الحملة، ما يهمني هو كيف يساند أهل الثغور عن طريق الحملة.

عندما سأله مذيع لندن عن اتهام أمريكا للمناهج في السعودية بأنها هي التي أخرجت الذين هاجموها من السعوديين في أمريكا.

قال: "الذين يقال إنهم قاموا بالعمل هم في الحقيقة ممن رفض المناهج وترك الدراسة، وبعضهم لا يدرس ولا ينتمي للعلم الشرعي أصلاً، بالعكس لو أن القضية هي قضية المناهج لكان الجميع أو كان ما عُمل يشترك فيه الكل، ولكن هؤلاء كان لهم نظرات خاصة وكان لهم توجيه وتربية خاصة بهم".

هذه أول مساندة سفر لأهل الثغور، يبين في جوابه أن الذين نفذوا العمليات يختلفون عن الجميع رفضوا المناهج وتركوا الدراسة، وبعضهم لا يدرس ولا ينتمي للعلم الشرعي أصلاً!

وإن كان هذا الكلام مدحاً في أصله، إلا أنه جاء هنا في معرض الذم، فهو يتحدث عبر إذاعة عالمية، والذي يترك الدراسة أو لا يدرس أصلاً يعد فاشلاً وعاطلاً، سببت له البطالة الالتحاق بالمجاهدين أو بالإرهابيين، وهذا يعني أن الإرهابيين جماعة من الفاشلين الذين يختلفون عن الجميع، هذا ما يفهمه السامع عندما يعرف أنهم تركوا الدراسة أو لا يدرسون، وسفر من الناس الذين أعطاهم الله القدرة على التعبير، فكان بإمكانه أن يقول رفضوا المناهج وتركوا الدراسة وبعضهم لا يدرس لأسباب شرعية، حتى يعطيهم فقط سمة من سمات الشرعية.

ولكنه لم يقل هذا سنداً لأهل الثغور كما يزعم، ولكنه سارع في التبرؤ منهم وبترهم من جسد الأمة، بإثباته أنهم يخالفون الجميع، بل جاء بالطامة عندما قال: "وبعضهم لا يدرس ولا ينتمي للعلم الشرعي أصلاً"، نعم يعني لا دراسة ولا علم شرعي، بمعنى أنه فاشل محبط جاهل، سيقول البعض بأنه قال: "بعضهم"، وليس كلهم وهذا كلام حق، وأنا أقول لا بل هو باطل، كلهم درسوا، والجميع لديه منهج شرعي وعلم بالدليل، ولو كانوا غير ذلك ما قدموا نفوسهم لله رخيصة دون علم شرعي، فقد كذبت عليهم يا سفر، بنفي العلم الشرعي عنهم أصلاً، ولو أنه قال: "ليس لديهم علم شرعي أصلاً"، لقلنا بأنه يقصد أي ليس منهم عالم، وهذا رغم بطلانه إلا أنه أهون، ولكن لا ينتمي للعلم الشرعي أصلاً، هذا زور وكذب، لولا انتماؤهم للعلم الشرعي والدليل ما رأيت منهم ما رأيت، أم أن الانتماء للعلم الشرعي في قاموس سفر يجب أن يكون عن طريق سفر أو سلمان أو غيرهما، وربما يريد من الانتماء للعلم الشرعي تخرجهم من جامعة أم القرى أو الجامعة الإسلامية، فإذا لم ينسب أحد لهم أو لتلك الجامعات فهو لا ينتمي للعلم الشرعي أصلاً، ما هو مقياس الانتماء للعلم الشرعي عند سفر، أنا لا أعلم، بما أنه نفى عن شهدائنا الأبرار – نحسبهم كذلك ولا نزكيهم على الله – العلم الشرعي أصلاً فلا يمكن أن نعلم مقياس الانتماء.

هذا الذي يقصده سفر بمساندة أهل الثغور، فهو يقصد البراءة منهم، وليته سكت على نفيه انتماءهم للعلم الشرعي أصلاً، حتى زاد على ذلك عبارات، يعلن فيها البراءة منهم، ويبرئ المجتمع أيضاً منهم عندما قال: "بالعكس لو أن القضية هي قضية المناهج لكان الجميع أو كان ما عمل يشترك فيه الكل، ولكن هؤلاء كان لهم نظرات خاصة وكان لهم توجيه وتربية خاصة بهم".

نعم ما عملوه لا يشترك فيه الجميع معهم، لأن هؤلاء انفردوا بنظرات خاصة وكان لهم توجيه وتربية خاصة، فهم ليسوا كالجميع، لم تسمح نفسه أن يثني عليهم بعبارة واحدة، بل حاول جاهداً بترهم من جسد الأمة بعبارات عنيفة "رفضوا المناهج"، "تركوا الدراسة"، "بعضهم لا يدرس"، "لا ينتمون إلى العلم الشرعي أصلاً"، "لا يشترك معهم الجميع"، "لهم تربية خاصة"، "لهم نظرة خاصة"، "لهم توجيه خاص".

ما أجمل هذه المساندة لأهل الثغور، وما أجمل هذا الثناء على الشهداء أيها الشيخ الجليل والعالم النحرير، لا أريد أن أفتش في قاموسك لأعيد إلى الأذهان، صوراً أخرى من صور سندك لأهل الثغور، الذين هم على تعبيرك أهل التكفير والعجلة والاستبداد بالرأي، و... و... و...، نعم لم نعرف عنك سنداً لأهل الثغور إلا بهذا الأسلوب، تهم تلقى على عواهنها، ظالمة جائرة، وأوصاف لا يمكن أن تطلقها على أحد سواهم، يقول سنساند في هذه الحملة أهل الثغور، عجباً في إذاعة لندن ولست دقائق فقط بان العوار شعارات زائفة تسقط من مقابلة واحدة.

ثم يكرر الشعارات في مقابلة قناة المجد، لكسب الجمهور، ويقول بأن له اتصالاً مباشراً مع المجاهدين، وما كل ما يعلم يقال.

يريد أن يفهم السامع بأن هناك توافقاً منه مع المجاهدين، نحن نتمنى ذلك، ولكن الحقيقة غير ذلك، طبعاً من البديهي لدى كل عاقل أن من لديه علاقات مع أكثر الناس خطراً في العالم لا يمكن أن يدين نفسه أمام الملايين ويعترف بأن له علاقة مباشرة معهم، هذا إن كان عاقلاً، يمكن أن يعقل أن يقول شخص نحن نؤيد المجاهدين، ومن المفترض أن نقف وراءهم، ولكن يقول هناك اتصال مباشر، لا يفعل عاقل ذلك إن كان الأمر حقاً، ولكن بما أن كل ما في الأمر شعارات فلا مانع من إطلاق الشعارات هنا وهناك وعلى جميع الأوزان.

الأمين العام له دعم مباشر للمجاهدين ولكن ما نوع هذا الدعم؟ إنه من نوع الأحكام الجائرة والفتاوى العنيفة ضدهم، بالأمس يمنع دعمهم في العراق ويمنع ذهاب أحد إلى هناك، وليس هذا خاص بملابسات قضية العراق، بل هو أحد أبرز الرافضين للذهاب إلى أفغانستان أيام الغزو السوفيتي، وبرز رفضه مع بروزه عام 1409هـ، وكانت علاقته في مساندة أهل الثغور بهذا الأسلوب: لا تذهبوا إلى أفغانستان، استمر هذا الموقف منه حتى بعد قيام إمارة أفغانستان الإسلامية، رفض ذهاب الشباب إلى التدريب فقط لمجرد التدريب الواجب بالنص، ولا أكتم القارئ حديثاً حينما أقول بأنه أرسل طلباً إلى مجلس شورى الإمارة الإسلامية في الحج الذي سبق ضربات سبتمبر بستة أشهر تقريباً، يطالبهم فيها بإخراج الشيخ أسامة بن لادن من أفغانستان حقناً للدماء ومنعاً لوقوع الحرب، والله الذي لا إله

غيره إن هذه الفتوى ليست من شيخ الأزهر ولا من اللحيدان، والله إنها صادرة من سفر الحوالي، وقد اعترف بها أمام جمع من الأخوة، وهو يعجز أن ينكرها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا هو الاتصال المباشر الذي يقصده سفر في قناة المجد، نعم إنه اتصال من نوع خاص، وهذا ما يعنيه بأن تكون الحملة سنداً لأهل الثغور، على أسلوب بيان المثقفين والجبهة الداخلية، شعارات في شعارات تذكرنا بالحقبة الناصرية، ورحم الله من استحى... ونكمل استعراض بقية مقابلة لندن مع الأمين العام، فعندما سئل عن أهداف هذه الحملة؟ قال: "الهدف هو التوعية العامة بحيث تصبح الأمة على بينة ماذا يراد بها وماذا يكاد لها".

أقول على بينة من ماذا؟ على بينة من العدو الذي داهم أرضها؟ إذا لم تكن الأمة بعد استبانت أمر العدو الذي داهم أرضها وقتل وشرد في ديارها، فلا نظن أن الحملة يمكنها أن تقوم بالتوعية.

فإذا كان من أهداف الحملة التوعية العامة، فأنا أقول هل تظنون أن الأمة لم تعِ بعدُ خطط الصليبيين؟ رغم أن الأمين العام أشار في آخر الكلمة على جواب السؤال الأخير أن الإحصائيات تقول بأن تسعين بالمائة من شعوب العالم تقول بأن ما تفعله أمريكا عدواناً، فكيف تكون الحملة للتوعية والناس الواعية تسعون بالمائة، فلماذا تركزون على عشرة بالمائة فقط؟ لماذا لا يكون هناك برامج عملية بدل التوعية، لقيادة التسعين بالمائة للعمل بدل التوعية بالطرق السلمية؟

أهداف بيزنطية لا قيمة لها، توعية شعوب مقهورة ثائرة، الشعوب الإسلامية اليوم لا تحتاج إلى توعية بأهداف العدو، الشعوب واعية أكثر من أصحاب الحملة أنفسهم، الشعوب تخرج في مظاهرات عارمة مع كل قضية تحدث في الأمة، ويأتي أصحاب الحملة ويرفضون المظاهرات ويرفضون أي مظهر من مظاهر التعبير عن الرفض لهذا الواقع، الشعوب الإسلامية تريد قيادة إلى ميادين العز والنصر، نريد تفعيل الشعوب الإسلامية التي كسرت أجنحتها، الشعوب الإسلامية نهبت ثرواتها، الشعوب الإسلامية ترزح تحت حكومات سلبت منها كل شيء حتى حق التعبير، الشعوب الإسلامية شعوب ممتهنة، تحتاج إلى من يحررها من حكوماتها أولاً، ثم تأتي الحملة وتقول التوعية العامة، الأمة واعية، ولكن نحتاج إلى حملات لتكسير قيود هذه الأمة، ولكن الحملة تأتي بمزيد من القيود لتكبيل هذه الأمة عندما زعمت أنها ستكون في خندق واحد مع الحكومات ضد العدو المشترك، وأنا أقول عن هذه الحكومات {هم العدو فاحذرهم}...

وعندما سئل سفر في مقابلة لندن عن استقلالية الحملة؟ قال: "بأن الحملة مستقلة ولم يكن هناك أي تنسيق مع أي حكومة، إلا الحكومة السعودية التي ينتمي عدد من المؤسسين للسعودية، فكان من الطبيعي أن يكون هناك تفاهم وإشعار للحكومة فرحبت".

وأنا أقول: والله لا يمكن أن تكون الحملة مستقلة بحال، وأبسط دليل عجزها عن فرض الاسم الذي تريده، ويكفي أنه اعترف بأن الحكومة السعودية رحبت بالحملة، ونحن نسأل أسئلة لسفر هل يمكن أن ترحب السعودية بحملة يمكن أن تكشف الحقائق وتطلع المسلمين على خطر الصليبيين؟ وتفضح من أدخلهم ومن رضي بهم ومن أعانهم في عدوانهم على العراق؟ ومن أعانهم في عدوانهم على أفغانستان؟ ومن أين انطلقوا؟ وحجم تواجدهم؟ وكيف تم دعم اقتصادهم بزيادة كمية ضخ النفط في السوق منعاً للإضرار بهم؟ هل يمكن أن ترحب الحكومة بحملة تفضح المنافقين والعلمانيين؟ هل يمكن أن ترحب الحكومة بمن يعري الطابور الخامس؟

قد يقول قائل؛ ليس بالضرورة أن تتخصص الحملة بهذه الجوانب، فأقول: إذا فإن الحملة لن تغير شيئاً ولن تأتي بشيء جديد بما أنها لن تبين للأمة موقعها الحقيقي، ومن هم أعداؤها بكل أصنافهم، وما هي حقيقة الواقع، فبما أن العدو أصبح صديقاً وفي خندق واحد مع الأمة فاعلموا أنها ليست مستقلة.

والأغرب من ذلك عندما سأله المذيع بقوله يعني هذا الإعلان لن يدخلكم في خلافات مع الحكومة؟

قال: "لا أبداً العدو جعلنا في خندق واحد، ونحن لا نستهدف في هذا العمل إلا العدو المشترك مع هذه الأمة".

نقول سبحان الله انقلبت المفاهيم، سفر بالأمس يؤلف كتباً يبين فيها أن طواغيت العرب هم شر خطر على الأمة، وهم الذين بدلوا دين الله تعالى، وهم السبب في فساد الأمة وتغييبها وكبتها، سلمان له أشرطة نارية تحذر من هذه الحكومات الطاغوتية، الجميع يقر بأن أخطر شيء على الأمة تلبيس هذه الحكومات وتزييفها للدين، ولا نريد أن ننقل ما يثبت ذلك من كتبهم وأقوالهم، فكل من يعرفهم متأكد بأن هذه آراؤهم السابقة.

فنأتي اليوم ونرى صحوة الأمس تنقلب إلى غفلة، هم وهذه الحكومات في خندق واحد يستهدفون العدو المشترك، ألم تؤصلوا لنا سابقاً أن هذه الحكومات هي دمى بأيدي العدو؟ ألم تقولوا لنا سابقاً بأن الاستعمار المباشر زال، وفرض علينا استعماراً غير مباشر عن

طريق هذه الحكومات العميلة؟ ألم تحشوا رؤوسنا من قبل بأن أخطر خطر على الأمة هذه الحكومات التي تنفذ إرادة العدو؟ ألم تقولوا لنا بأن هذه الحكومات حرب على الإسلام؟ ألم تكفروا هذه الحكومات وتناقشوا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بكفر هذه الحكومات في شريط مسجل؟ بالأمس ترفضون الاعتراف بشرعية هذه الحكومات ومنها الحكومة السعودية، وتكفرونها ولازالت كتبكم وأشرطتكم شاهد عليكم حتى الآن، ثم تأتوا اليوم لتكونوا مع هذه الحكومات في خندق واحد، ألم تقولوا سابقاً بأن الحكومات –وخاصة وزارة الداخلية السعودية –لا يمكن أن تفسح المجال أبداً لما فيه خير لهذا الدين، إلا النزر اليسير لتخدع به هيئة كبار العلماء والشعب من ورائها، لا تنكروا وتكذبوا فننقب في سجلاتكم ونخرج أقوالكم كلها التي تنكرتم لها الآن.

عفواً على هذه المكاشفة أنتم الذين ألجأتمونا لها، ولكن بسؤال عقلي، إذا كنتم تقاتلون عدواً في جبهة، يقف هو في صف وأنتم في صف أمامه، ومن غير أن تشعروا تسلل أحد جنود العدو إلى صفوفكم متنكراً وأنتم عرفتم ذلك وتأكدتم أنه أتى للإيقاع بكم، ولكن قلتم نتغافل ونقول دعه فالعدو أمامنا والقصف علينا جميعاً والآن نحن في خندق واحد اتركوه لنقاتل نحن وهو العدو المشترك، هو سيدخل في خندقكم ولكن سيقتلكم بدلاً من قتال عدوكم، هو ما أرسل إلا لقتلكم ورضاكم عنه لا يعني تحول أهدافه، أنتم أكدتم لنا أن العدو الأول والأقرب هي هذه الحكومات، فكيف انقلبت المفاهيم لتقاتلوا مع العدو الأقرب أسياده الأبعد؟! لقد عرضت الحملة أهدافها الستة...

وأول تعليقي على هذه الأهداف أنها شعارات براقة خالية من المضمون تخفي وراءها وجهاً كالحاً ورائحة كريهة نتنة، وسوف أبين ذلك بمثال واحد، وأظن أني تحدثت عن الهدف الأول؛ فيما يخص توعية الأمة وأنه تحصيل حاصل.

أما الهدف الثاني؛ وهو ودفع عدوان المعتدين بالوسائل المشروعة، فهذا جميل ولكن ما ضابط الوسائل المشروعة عندهم، هل التضامن مع الكنائس من الوسائل المشروعة؟ هل الدخول مع الحكومات الطاغوتية من الوسائل المشروعة؟ هناك أسئلة كثيرة تبين زيف هذا الشعار.

أما الهدف الثالث؛ وهو استنهاض الروح الإسلامية، فهذا شعار جميل ولكن ما هي وسائل الاستنهاض.

أما الهدف الرابع؛ فسوف أبسط الكلام عنه قليلاً ليتبين زيف الحملة، والهدف الخامس وهو التكامل والتنسيق بين الجهود الشعبية والرسمية في بلاد المسلمين، فكيف يتم

تنسيق جهود الشعوب مع الحكومات الطاغوتية وهم أعداء الأمة، الأمة لا تريد تنسيق جهودها مع جلاديها، الأمة تريد من حكوماتها الطاغوتية أن ترفع يدها عنها، إذا كانت الحملة تريد تنسيق الجهود، فنحن لا نريد منها ذلك، نريد منها فقط أن تقنع الحكومات لتطبيق الشريعة، تقنع الحكومات لتطبيق الحدود، تقنع الحكومات للكف عن حماية اليهود وفتح الحدود، تقنع الحكومات بأن تترك أهل الحق والعدل في سبيلهم، تقنع الحكومات أن تترك العمالة لليهود والنصارى، تقنع الحكومات أن تفرغ سجونها من المجاهدين والدعاة، يا سادة لا تستغفلوا الأمة، الحكومات هي العدو الأقرب للأمة، فكيف تنسقون الجهود بين الشعوب وبين العدو الأقرب والأشد فتكاً ضد سيده ومن نصبه وهو العدو الأبعد؟ شعارات رنانة لا مضمون لها ولا طعم ولا رائحة، تندرج تحت بند استغفال الأمة) اهـ[7]

واستمر الشيخ يوسف رحمه الله في فضح هذا المشروع الذي يعد ركناً من أركان الصفقة في بلاد الحرمين، واستمر سفر الحوالي في تكثيف جهوده ضمن إطار صفقة الخيانة هذه، ووقف موقف الخصم لحركة الجهاد في الجزيرة وأخذ يجمع العلماء والمشايخ والشباب، ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم إلا غروراً، ويصرّح لهم بأن الحكومة فتحت له المجال للعمل في تقويض حركة الجهاد مقابل تسهيلاتٍ تمنح للدعوة، ومجالات جديدة يمّكن لهم فيها! والوقائع في هذا كثيرة، واجتماعاته في الرياض ومكة وغيرهما مشهورة باء أكثرها بالفشل –ولله الحمد –ولم تقف معارضة سفر الحوالي للجهاد عند حد الجهاد في الجزيرة بل تعداها إلى غيرها كالعراق مثلاً، ويكفي القارئ أن يعلم أنّ وفداً من الحجاج العراقيين في هذه السنة 1424 هـ لما زاروه نصحهم بعدم المقاومة، بالرغم من أنه لا يجرؤ على إعلان مثل هذا الموقف.

القصد: أن التيار الإصلاحي في الجزيرة نحى نفس المنحى الذي طُبّق في بلاد العالم الإسلامي وهو الدخول في صفقة يراد لها إنقاذ الحكومات المرتدة ومن وراءها أمريكا من الورطة التي وقعوا فيها بسبب تصاعد المدّ الجهادي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وذلك ليس برفض المنهج الجهادي فحسب، بل واعتباره منهجاً ضالاً أو بدعياً غالياً متطرّفاً، وقطع كل طرق الاعتذار أو التبرير أو الحياد من مواقف هذا التيار وأعماله، وعدِّه منهجاً فاسداً مفسداً لا يتم إلى العمل الإسلامي المنتج الإيجابي بصلة.

والذي يظهر أنّ نتائج مثل هذه الخطوة على التيار الإصلاحي في الجزيرة أسوأ بكثير ممّا سيلحقه في غيرها من البلاد، وهو مغامرة خطيرة لم يحسب لها حساباً وتهوّرٌ سيقضي على البقية الباقية من مقوّمات قبوله لدى الشباب المسلم في الجزيرة ومردّ ذلك إلى أسباب كثيرة

[7] – انظر: الحملة العالمية لمقاومة العدوان حملة زيف وخداع وشعارات كاذبة، للشيخ يوسف العييري.

ليس هذا البحث موضع تفصيلها لكنّ أبرزها أن التيار الجهادي يملك نفس المقوّمات والأركان المهمة لفرض نفسه في الساحة وهي "السلفية"، و "العلم"، ويزيد عليها الجاذبية والمؤثرات الروحية العميقة التي لا توجد عند غير الجهاديين كثقافة الاستشهاد، وفضل الجهاد والمجاهدين، ونحو ذلك بالإضافة إلى تمسّك التيار الجهادي بالجانب الأهمّ والأكثر تأثيراً في تلك البيئة وهو الجانب العقدي وما يتعلق به من معاداة النظام السعودي إلى نحو ذلك من الجوانب التي يفتقدها أي تيار آخر.

الأردن

لا شك أن نظام الأقزام في الأردن قد بلغ من العمالة ما يضرب به المثل، حتى أنه الآن محطة لإجراء التحقيقات مع الشباب العربي المجاهد الذي يتم اعتقاله في باكستان أو أوربا أو استراليا، بل ويَفْتَعِلُ التهم لمحاولة جلب هذا الأخ أو ذاك -كما حدث مع كريكار الأمير السابق لجماعة أنصارالإسلام الكردية -عندما وجهوا إليه تهمةً لمحاولة جلبه من بلجيكا!

بل ويمارس هذا النظام العميل مع المجلوبين عمليات التعذيب في حضور المحققين الأمريكيين الذين لا يقدرون على ممارسة تلك الأساليب في أراضيهم.

هذا فضلاً عن حراسة هذا النظام للبوابة الشرقية للصهاينة، فهو نظام خرج من الإسلام من أبوابٍ متعددة ولكننا ما زلنا نسمع عن البيانات التي تخرج لتَنسِبَ هذا النظام للإسلام وتنعت من يعمل على مواجهته أو مواجهة أسياده من الأمريكان واليهود بالخوارج!

ما سبق كان يخص تيار الإرجاء المعروف بمواقفه، فإذا انتقلنا إلى الدعاة الإسلاميين من التيارات المسماة بتيارات الإصلاح نجد أن هذا الاتجاه يُوَجِّهُ بين الفترة والأخرى عباراتٍ يؤكد فيها للنظام الأردني أنه يسير بما يرضي الله! وأنهم متفقون مع النظام في أنهم ضد التطرف والتشدد! وأن التضييق على الجمعية السلفية الإصلاحية التي يديرونها والتي ترفع شعار: "علنية وسلمية الدعوة"، معناه: بروز أفكار متطرفة لا سمح الله!

هذا فضلاً عن تبعية هذا التيار للتيار السلفي الإصلاحي العالمي، والترويج لأفكاره كما جاء بالسابق.

وليس عندي شك في أن هذا المخطط ساري المفعول في المغرب وأندونسيا وماليزيا وباكستان وغير تلك الدول بصور مشابهة وإن كنت لم أعمل على رصد الأحداث هناك.

الفصل الثالث
أدلة الربط

جميع ما ذكرناه هو من وقائع سابقة موثقة لا يستطيع أصحابها إنكارها، كذلك أغلبه ليس فيه مجالٌ للاشتباه فيما قلنا إنه يقصد إليه.

ولكن قد يقول قائل: قد تكون كل هذه تحركات فردية من هذه الحركات، لا يوجد تأكيد على ربط كل ذلك بالخطة التي ذكرتها في الفصل الأول، بل لا يوجد تأكيد للخطة نفسها فما أدلتك عليها؟! وكيف عرفت بها؟!

أقول: لم يُلْزِم الموضوع أن الخطة حدثت بصفة جماعية بين أمريكا والأنظمة والجماعات، وإنما نَصَّ على أن هناك خطةً جماعية بين الأمريكان والأنظمة وهذا ما سنثبته.

ثم تمت الخطة بعد ذلك في كل قطر مع حركاته على حدة، وان كان هذا لا ينفي كما نقلنا من نقولات لبعض الحركات أنهم يعلمون أنها سياسة ستعم العالم الإسلامي، وتوصيات لهم بالاستفادة من الأوضاع في كل ديار المسلمين.

كما أننا ذكرنا من البداية أن الحركات والقيادات الإسلامية دخلت في المخطط بقصد أو بدون قصد.

وذكرنا كذلك أننا لم نُركز على "قصد" أو "عدم قصد" أو "مدى تأويل" مَنْ دخل في تلك الخطة، وأنه لو كان المطلوب منا ترقيق العبارة مع هؤلاء القادة وتلك الحركات فإن ذلك سيؤدي إلى توهين تلك المخالفات الكفرية –والتي بعضها كفر حال وبعضها كفر مآل –أمام الشباب من أتباع تلك الحركات مما سيؤدي إلى انزلاق البعض فيها بسهولة، وهدي القرآن وسيرة السلف في مواقف مشابهة تأمرنا بعدم التراخي أمام تلك المخالفات والشدة في الإنكار مهما كان شخص أو عدد الوالغين فيها.

أولا: إثبات الخطة:

من الطبيعي أنه إذا كان هناك من اخترق تلك الأجهزة أو أني أنقل ذلك عن أحد قيادات العمل الإسلامي من الذين عُرِضَتْ عليهم تلك العروض فلن أكشف عن مصدري، لذلك فليقبل القراء مني الإثبات المنطقي المعضد بالقرائن وبعض الأدلة لكل ما ذكرت.

الأدلة:

1) ما نقلناه عن قلق الإدارة الأمريكية من تدفق الشباب للأعمال القتالية في جميع بقاع العالم الإسلامي ثابتٌ بعشرات بل مئات الأخبار الموثقة عن الإدارة الأمريكية ودوائر صنع القرار فيها.

2) كذلك قلق الأنظمة من أن سياسة أمريكا ستدفع الشباب للعنف بأعداد كبيرة، واتخاذ الشباب في العالم الإسلامي من ابن لادن قدوة ثابتٌ عن جمع من رؤساء الدول العربية والإسلامية والكتاب والمستشارين المحيطين بهم، منهم حسني مبارك وبرويز مشرف وغيرهم في تصريحاتهم للصحف والدوائر الأمريكية.

3) الاجتماعات الدورية للتنسيق الأمني بين الأجهزة الأمنية وأجهزة المخابرات الغربية والأمريكية أخبارها معلنةٌ وثابتة سواء بصورة جماعية أو ثنائية أوثلاثية، ولا أعتقد أنهم في هذه الاجتماعات يلعبون (الكوتشينة).

4) الزعم أن ذلك سياسة فردية من كل نظام على حدة بدون توصية وضوء أخضر من الأمريكان يكذبه العقل الصريح، فكيف تكون فردية وهي تكاد تكون معممةً على كل الدول، وكيف لعاقلٍ يقول إن تلك الأنظمة –التي هي إما صنيعة غربية أو أن بعضها سارع في الغرب النصراني خشية أن يصيبهم دائرة على أقل تقدير –تتقرب من حركات إسلامية! وفي هذا الوقت بالذات الذي أمريكا عندها فيه حساسية من كل ما هو إسلامي بدون ضوء أخضر من الأمريكان واتفاق معهم، أضف إلى ذلك إعلان أمريكا عن دخولها بنفسها في تلك السياسة كما حدث في أفغانستان مع سياف ورباني والعراق وتركيا، وإشادة دبلوماسييها بالفتاوى الرسمية بالمملكة التي هي حتى فترة قريبة كانت هيئةً وهابية! وما تصريح سفير أمريكا بالمملكة عنا ببعيد.

5) جاء في صحيفة الحياة بتاريخ 2003/12/12م ما يلي: (أكد رئيس لجنة مجلس الأمن لمراقبة ومطاردة تنظيم "القاعدة" وحركة "طالبان" سفير تشيلي هيرالدو مونيوز لـ "الحياة" بعد عودته من السعودية، أن السلطات في الرياض "صعّدت وعزّزت الإجراءات" في المعركة ضد الإرهاب, بما فيها "تجميد ممتلكات، وليس فقط أموال للأفراد والمنظمات ذات العلاقة بـ "القاعدة"... والسيطرة على المؤسسات الخيرية... وإنشاء مفوضية للإشراف على المساهمات الخيرية... وفرض القوانين لمعاقبة غسل الأموال وتمويل الإرهاب... وإنشاء مراكز مخصصة للتحويل "المالي" أرخص وأسرع ترافقها إجراءات لمحاكمة انتهاك القوانين الجديدة للتحويل... واتخاذ القرار الجذري بأن لا مفر من المواجهة العقائدية باعتبار رجال الدين مفتاحاً لإلحاق الهزيمة بعقيدة القاعدة وبالقاعدة.

ووصف مونيوز قرارَ المواجهة على أساس عقائدي بأن له "أهمية بالغة" تتعدى السعودية، لافتاً إلى أن السلطات في أندونيسيا أثناء زيارة سابقة له لجاكارتا "شددت على أهمية المواقف العلنية لقادة الدين السعوديين وأثرها القوي في عزل المتطرفين".

وكان مونيوز أجرى في الرياض محادثات مع مسؤولين كبار بينهم وزير المالية ووزير الخارجية بالوكالة ونائب وزير الداخلية ومسؤولون في الجهاز الأمني المكلف بمحاربة الإرهاب.

وقال مونيوز لـ "الحياة" أن أحد الوزراء قال لي: "إنهم — السعوديين –توصلوا إلى اقتناع بأن لبّ الصراع هو في المواجهة العقائدية، وأن إلحاق الهزيمة بالقاعدة يتطلّب قيام

إعلان قادة رجال الدين أن المتطرفين يتصرفون ضد القرآن، وهم يشعرون بأن هذا هو المفتاح لإلحاق الهزيمة بعقيدة القاعدة، وبالقاعدة وطالبان".

وأضاف: "إنني أعود –من السعودية –بانطباع إيجابي... وأود أن أركز على إيجابية الاستعدادات والإجراءات") انتهى النقل.

فهذا التقرير ما هو إلا نموذج لتصاريح كثيرة تكشف ثمار تلك الخطة وتطبيقاتها.

6) هذا إضافة إلى أن مثل هذه الخطة معلومة وثابتة منذ فترة طويلة، وللأسف قادة الحركات الإسلامية تعلمها جيدا! حتى إن سفر الحوالي الذي جاء ذكره فيما يخص الجزء الخاص بالجزيرة قد نبه إليها من قبل...

فلسفر عام 91 دراسة نشرتها مجلة "المجاهد" الأفغانية التي كانت تصدر من "بيشاور" الدراسة كانت بعنوان؛ "الشيوعية بين السقوط وإعادة البناء"، جاء فيها رصد سفر لدراسات غربية أنهم يدعمون الأنظمة في بلاد الإسلام للقضاء على الحركات الأصولية، وأنه إذا استعصى عليهم الأمر سيعملون على ضرب التيارات المعتدلة بالتيارات المتشددة وعرّف سفر التيارات المتشددة عندهم بالتيارات التي لا تقبل أنصاف الحلول أو التعايش والتي الأمر عندها إما إسلام وإما كفر، بل وضرب الشيخ أمثلة على الفريقين!

كذلك قال: إنه إذا فشلت هذه الخطة وسيطرت التيارات الأصولية على الشارع وهددت المصالح الغربية فليس أمام الغرب إلا التدخل العسكري المباشر، ونقل من أقوالهم ودراساتهم ما يثبت ذلك وما يثبت تلك النوايا، والأهم من ذلك والذي نريد أن نذكر به الكاتب قوله – أي سفر نفسه –: إن التدخل العسكري الغربي المباشر في ديار المسلمين سيكون في مصلحة الإسلام بإذن الله لأن وقتها ستعلم الشعوب حقيقة المعركة وأنها بين الإسلام والكفر، وضرب مثالاً بالحرب الأفغانية كيف أنها بدأت واستمرت لسنوات ضعيفة بين الجماعات والنظام في السبعينات إلا أنه بعد تدخل روسيا بجيوشها انتفض المسلمون للدفاع عن دينهم وعلموا حقيقة المعركة، نذكر سفراً بهذا لأن هذا هو عين ما ينكره الآن هو وأتباعه وغيرهم على "القاعدة".

أعتقد شخصيا أن من لم يكفه كل ما سبق لن ينفع معه حتى لو أحضرنا تسجيلات لاجتماع الأمريكان مع الأجهزة الأمنية لأنظمة الردة!

لماذا أخس صفقة؟!

لو قال قائل: لقد قلت إن هذه الصفقات كان تعقدها الأنظمة من قبل فلماذا أطلقت على هذه الصفقة أنها "أخس صفقة في تاريخ الحركات الإسلامية المعاصرة"؟

أقول: هذه الصفقات كانت تُعقد في الماضي بصورة ضيقة وكانت بعض الأنظمة تأنف أن تعقدها مع الإسلاميين فما كان عندها إلا القمع! كذلك الصفقات في الماضي كانت تتم من حركة واحدة في الغالب –والكل يعرفها –أو مع بعض القيادات أو الخطباء بصورة فردية، كذلك كانت تتم لصالح الأنظمة وكان يدعي المجرمون من هذه القيادات وقتها أن الأنظمة عندهم إسلامية!

هنا الأمر على النقيض من ذلك تماماً: فالصفقة عمت العالم الإسلامي كله، ودخلت فيها كثير من الحركات السلمية، وتتم لمصلحة الأمريكان أهلِ الكفر الصريح، فأي حال هذا الذي وصلنا إليه!

رحماك ربي.

الخاتمة

في الختام ننصح ونحذر من بقي فيه بقية خير من هؤلاء بالتوبة والتطهر من ذلك الخزي، وعليهم أن ينتبهوا إلى مكر الطواغيت والكفار بهم وأنهم لن يتورعوا عن تسريب تلك المخازي بتفاصيلها بل والزيادة فيها ثم القيام بعد ذلك بتدبير أعمال إبادة لهم ولتجمعاتهم ونسبتها إلى أهل الجهاد، وقد قام الطواغيت بمثل ذلك والأمثلة عليه كثيرة، كذلك سيقوم الطواغيت بضرب الحركات الخائنة بعضها ببعض، خاصة مع وجود فصائل لن تقبل مشاركة الآخرين في مكاسب الخيانة وسيكون المنظر كريهاً أمام الناس والشعوب، ولنا بما حدث بين حزب نحناح وحزب النهضة بالجزائر من قبل خير مثال.

وننبههم كذلك أن هذه المرة ليست ككل المرات السابقة، وأن الساحة الآن مليئة بمجموعات قومية وبعثية ومجموعات إسلامية صغيرة غير مرتبطة بقيادة تضبط لها المواقف، وأن القومي والبعثي والشاب الذي لا يجد من يضبطه لا يعرف عذراً بالتأويل ولا القاعدة المستخرجة "حتى لا يقال: إن محمداً يقتل أصحابه"، بل إن بعض هؤلاء من سيقول: هذا

ابن تيمية وقد قال لأتباعه في التتار الذين كانوا يحكمون العراق ويشهدون الشهادتين إذا رأيتموني في صفهم ولو متأولاً وأحمل المصحف فوق رأسي –وهو من هو –فاضربوا رأسي بالسيف.

ونقول لهؤلاء إنها ثلاثة احتمالات:

الاحتمال الأول: لو تمكن الطواغيت والكفار هذه المرة –وذلك مستبعد – فسيعملون على التخلص منكم ولن يعدموا الوسيلة.

الاحتمال الثاني: إذا عمت الفوضى والتوحش جميع أو أكثر ديار العالم الإسلامي –وهو الراجح في هذه الأحداث –فلا نضمن لكم بقاءً في ظل فوضى تديرها تنظيمات مسلحة ذات مشارب شتى –إسلامية وقومية وبعثية وتنظيمات لا ضابط لها ولا رابط – خاصةً أنه ليس لكم ولا لتنظيماتكم إمكانيات قتالية أو دفاعية.

الاحتمال الثالث: أن يتمكن رجال الجهاد إما تمكيناً مباشراً –وما ذلك على الله بعزيز –أو بعد تمكنهم من إدارة الفوضى المتوقعة بعد فترة تطول أو تقصر –تعتمد على قدراتهم في إدارة هذه الفوضى –فبلا شك سيعملون على تقديم كل من ثبت في حقه خيانة إلى المحاكمة ليأخذ عقابه العادل مع ما سيناله من خزي.

ونقول لهم؛ إنا نُعيذكم أن تكونوا من الذين "رأوا أحلامهم تطيش، وأوهامهم تتصاغر، وأكل قلوبهم أنّ فتيةً من القوم هم مَن وقع عليهم الفضل الإلهيّ، ولم يقع على رجلٍ من القريتين عظيم، فذهبوا يَسْتُرُونَ الفجرَ بغربالهم المنحرف، وما دروا أنّ السنّة هي مع مثل هؤلاء الفتية، وليس مع من أمضى عمره يشغل النّاس بصنع تاجه المنمنم بخرز الزّهو وقداسة التّاريخ بأنّه سيّد العرب".

هنا أحب أن يتنبه الأخوة الأحبة إلى أن من أهم أسباب سقوط هذه القيادات – نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة وأن يتوب علينا وعليهم –مجالسة أهل الأهواء والبدع والتضلع بكتبهم وكتب أهل الكفر التي تخلط بين السنن الكونية التي تحقق الأمر الشرعي الخالص من الشوائب والسنن الكونية التي تحقق الأمر الشرعي الذي ينشأ معه أوضاع غير شرعية، وقد حَذّرَ السلف من ذلك أشد التحذير...

إن مجالسة الرافضة والتضلع بكتبهم والنظر إلى كيفية إقامتهم لدولتهم أفرز تلك الرؤى، بل إن التضلع بكتب الإخوان التي تمتلئ بمثل هذه المخالفات قد أردى بنا كثيراً.

وأذكر أننا كنا نُحَذِّرُ بَعْضَ شبابِ الجهاد من النظر في بعض الكتب الحركية والأمنية والسياسية – لأمثال "فتحي يكن" و "سعيد حوى" و "منير الغضبان" – والتي كانت مطبوعةً والحصولُ عليها أسهل من الحصول على رسائل أهل الجهاد التي كانت يصعب الحصول عليها قبل انتشار الانترنت – لئلا يقع في قلوبهم من مطالعتها بعض الزيغ الذي فيها، وكنا نقول لهم انظروا كيف أن الاضطراب الذي حَدَثَ في الجهاد الأفغاني في بعض مراحله تسبب فيه بعض القادة المتأثرين بالآراء الإخوانية أمثال حكمتيار وسياف ورباني – ومواقفهم أحد أسباب الفتن التي اعترت الجهاد الأفغاني الأول –

ونجد في تلك الكتب مثلاً التسويغ لتحالفات غير شرعية، والتسويغ لكثير من المواقف غير المنضبطة والإخوان الآن يمثلون للقوم القدوة في التمكن من البقاء دون عناءٍ وقتال باتخاذ مواقف سياسية، فإذا أضفنا ما جد من مجالسة القوم للرافضة لظهر لنا تفسير بعض ما سبق.

زيادةٌ في العبر لمن يعتبر؛ مصر في تسعينات القرن الفائت:

1) عندما تم منع الشيخ عمر عبد الكافي من إشرافه ودروسه بمسجد (أسد بن الفرات) بمنطقة الدقي بالقاهرة، نشرت إحدى المجلات حواراً معه بسبب الضجة التي أثيرت حول ذلك الأمر لشهرة ومكانة الشيخ وقتها، وقد كان قبل منعه ضيفاً مستديماً على قنوات التلفاز المصري في سابقة نادراً ما تحدث مع داعية غير منتمٍ للأزهر والنظام في ذلك الوقت قبل انتشار القنوات الفضائية، وللتعريف به أكثر لغير المصريين:

هو أول داعية انتشرت على يديه ظاهرة توبة الفنانين بعد أن كانت محدودة، ودروسه موجودة على موقع طريق الإسلام.

المقصود أن الصحفي قال له: أنت متهم بإثارة قضايا تهيج الناس، وأنك استوليت على مسجد "أسد بن الفرات" بالقوة... ونحو ذلك.

فردّ قائلاً: إن ذلك عكس الحقيقة، أولاً: عندما كنت أعطي الدروس بمساجد أخرى قامت "مباحث أمن الدولة" باستدعائي وقيل لي أن منطقة بولاق تغلي –وقد كانت معقلاً لشباب الجهاد وهي مجاورة لمنطقة الدقي –، فهل إذا أعطيناك حرية الدعوة والدروس بالمسجد الكبير بالدقي "أسد بن الفرات" تستطيع تهدئة الشباب!؟

يقول الشيخ للصحفي: (وبفضل الله في فترة قصيرة أصبحت منطقة بولاق منطقة هادئة!).

وماذا كانت نهاية هذه القصة؟ تم منع الشيخ من الدروس عندما لاحظوا تأثيره على التزام الشباب في منطقة الدقي الراقية التي يسكنها علية القوم، أي عندما استنفذوا غرضهم منه ووجدوا أنه بدأ يحقق أهدافاً لا يريدونها قاموا بمنعه والتضييق عليه.

بل تركوا أو قل حرضوا الصحف والمجلات العلمانية على نهش عرض الشيخ دون حسيب أو رقيب، وطبعاً لم يفعل من كان يواظب على دروس الشيخ شيئاً، فانصرف بعضهم إلى غيره أو شغلتهم دوامة الحياة.

2) <u>الشيخ فوزي السعيد فك الله أسره:</u> وهذا الشيخ كان من أكثر الشيوخ إثارةً لقضية الحاكمية من خلال مسجده وإن كان لا يعلن موقفه بوضوح من قضية أعيان الحكام، والشيخ للأسف – لكي يحافظ على مسجده الذي كان يرتاده عشرات الآلاف من الشباب – قام متأولاً بخدمات للنظام منها أنه كان يُكثر من التحذير من الأعمال الجهادية داخل مصر، بل وصل به الأمر قوله مرة على المنبر كما سمعته بنفسي وسمعه مئات الشباب: أن من سيوزع بيانات ضد النظام "المصري العلماني" أمام المسجد سيقوم بتسليمه للشرطة بنفسه، وأنا واثقٌ أن الشيخ كان يقول هذا الكلام لغرض حماية المسجد وأنه حاشاه أن يقوم بذلك فعلا، ولكن هل الشباب الذي يحضر إلى المسجد ويتخذ من الشيخ قدوة يفهم ذلك؟

وماذا حدث بعد كل هذا؟ وبعد أن استنفذ الشيخ الغرض الذي تركوه يشرف على مسجده من أجله ويعلي في طوابقه –حتى وصل إلى سبعة طوابق –من أجله –وهو صرف الشباب عن الأعمال الجهادية وبعد توقف الجهاد قاموا بالاستيلاء على المسجد ومنعه منه، ووضعه في قضية جمع تبرعات للشيشان وفلسطين! ورغم حصوله على حكم البراءة إلا أنه مازال معتقلاً حتى الآن، هذا مع العلم أنه استمر لأكثر من عشر سنوات يجمع التبرعات علانيةً للشيشان وفلسطين فما الجديد في الأمر؟!

وللذكر تمَّ ذلك قبل أحداث سبتمبر...

وماذا فعل عشرات الآلاف الذين كانوا يحضرون مسجده أكثر من عشر سنوات؟ انصرفوا لغيره وانشغل بعضهم بمشاغل الدنيا وخيرهم المتحزن المتلمظ يبكي وهو يدعو للشيخ في السجود! ووالله لا أسخر من الدعاء فهو عبادة عظيمة، وسببٌ يجب الأخذ به، لكن

هل هذا هو كل المطلوب؟ ومن الذين يفكرون في الشيخ الآن رغم كل ما بدر منه تجاههم؟ ومن الذين يجمعون بين الدعاء للشيخ والعمل لفك أسره؟ إنهم رجال التوحيد والجهاد!

نعم أنتم يا رجال التوحيد والجهاد ما أحسن أثركم على الناس وما أقبح أثر الناس عليكم...

نعم أنتم من صدعتم بالحق ولولاكم لضاع دين الله بين تمييع المميعين وتحريف المبطلين، نعم أنتم من صدعتم بالحق ولولا ذلك لضربنا الله بالفتن بسبب كتمان دينه، ثم يقال عنكم دعاة فتنة نعم أنتم الذين ساعدتم شعب البوسنة على أن يخرج من محنته، وبلغ علي عزت منصبه بسببكم ثم قام منهم من قام بتسليمكم للكافرين بعد ذلك.

نعم أنتم الذين يُستسقى بكم الغمام على هذه الأرض وترميكم قوى الأرض عن قوسٍ واحدة بل وتجدون الخيانة من أقرب الناس إليكم، ممن هم لولاكم ما تركهم الطواغيت أحراراً أعزاء...

فما أشد غربتكم وما أعظم أجركم في الدنيا والآخرة بإذن الله...

فالثبات الثبات فلن يضركم من خالفكم ولا من خذلكم فهذا وعد الله...

إنّها الوعود الإلهية، إن أخطأَتْ بعضكم فهي واقعةٌ لا شك فيمن ثبت على الطريق، وواصل المسير، ولم تُضعفه الأيّام والشّهور، بل ازداد ثباتاً ويقيناً، وما شدة الصعوبات إلا دليلٌ على صواب الطريق، وإذا كان طريق الجهاد هو طريق الدّم والخطفِ والسجن، فإنّه كذلك طريق العزّة والنّجاح، وإذا كانت الطّرُق الأخرى هي طرُق السّهولة والمناصب، فإن نهايتها الذلّة والخِزْيُ والشّنار، {قل لن ينفعكم الفرار}، إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا.

أما الشباب الذين يلتفون حول القيادات التي دخلت هذا الطريق وخفي عليهم ما ذكرناه، فنقول لهم: إن لكم دوراً هاماً هو مواجهة هذه القيادات بما قاموا به، ونهيهم عن غيهم فإن لم يستجيبوا فمن مشاركتهم في الإثم البقاء تحت رايتهم، ولتعلموا أن ما يقوم به الكفار والطواغيت من مؤامرات إنما يستهدفكم أنتم ولا يستهدف تلك القيادات، فهذه القيادات عند أهل الكفر والطواغيت لا وزن لها بدونكم أنتم، ولقد مارس الإعلام ومشايخ الدجل عليكم كثيراً من الدجل في إيهامكم أنكم لا قيمة لكم عند الأعداء وإنما الحقيقة أنك أنت أنت أيها الشاب تخافك كل قوى الأرض، أنت أنت من نزلت آيات الكتاب تحملك

أمانة هذا الدين، فآيات تَحَمّل الأمانة لم تنزل فقط للفاروق أو عظماء الصحابة رضي الله عنهم وإنما نزلت لكل مؤمن ومسلم يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

إنهم مرعوبون منك أنت أن تتحرك، إنهم يركبون أي سبيل لاحتوائك وإيقافك، مؤامرات الأعداء تستهدفك أنت حتى تصرفك عن الأمانة التي أنت قادرٌ بعون الله على أدائها.

{يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون}.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

